الفصل الثاني: سياسة الرسول صلى الله عليه وسلم في إدارة مجتمع متعدد الأعراق في المجتمع المدني من خلال التعليم

المبحث الأول: التعليم في الإسلام

المبحث الثاني: سياسات التعليمية في المجتمع المدني

المبحث الثالث: أثر السياسات التعليمية في بناء المجتمع

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

المبحث الأول: التعليم في الإسلام.

المطلب الأول: اهتمام الإسلام بالتعليم.

الإسلام منذ بدياته في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم اهتم بالتعليم، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم من وظيفته معلم كما أشار إلى ذلك قوله تعالى ﴿كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ ١٥١﴾[1]. (فأخذ الرسول يعلم الصحابة تعاليم الإسلام في دار الأرقم كما أشار ذلك الدراسات السابقة (كان الأرقم رضي الله عنه من السابقين الأولين، وكانت داره منتدى يجتمع فيه المسلمون، ويعبدون الله سرا، ويلقنهم النبي صلّى الله عليه وسلّم الإسلام وأصوله، ويتعهّدهم بالتربية حتى كوّن منهم أناسا يستهينون بكل الآلام والبلاء في سبيل دينهم وعقيدهم)[2].

وكلما وجد صلى الله عليه وسلم طائفة أسلمت يرسل معهم معلم يعلمهم الإسلام، وهذا ما نستشهده من خلال إرساله عليه الصلاة السلام مصعب بن عمير إلى المدينة[3]. وإرسال معاذ بن جبل إلى أهل اليمن (عن ابن عباس يقول سمعت ابن عباس يقول لما بعث النبي صلى الله عليه وسلم معاذ بن جبل إلى نحو أهل اليمن قال له إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله تعالى فإذا عرفوا ذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم فإذا صلوا فأخبرهم أن الله افترض عليهم زكاة في أموالهم تؤخذ من غنيهم فترد على فقيرهم

---

[1] القرآن: البقرة ٢:١٥١.

[2] محمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة. ٢٠٠٦. *السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة*. دمشق: دار القلم. ط. الثامنة. ج. ١:٢٨٩

[3] ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب. *السيرة النبوية لابن هشام*.١٩٩٥. مصر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده. ط. الثانية. ج. ١: ٤٣٥، ارجع إلى: العمري، أكرم ضياء. ١٩٩٤. *السيرة النبوية الصحيحة*. السعودية: مكتب العلوم والحكم. د. ط. ج:١: ١٩٨.

فإذا أقروا بذلك فخذ منهم وتوق كرائم أموال الناس)[1].

وفي غزوة بدر الكبرى كان الأسير من المشركين عددهم أربعة وسبعون[2] (وكان ناس من الأسرى يوم بدرٍ لم يكن لهم فداءٌ، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فداءَهم أن يعلموا أولاد الأنصار الكتابة)[3].

والجدير بالذكر أن الآية الآولى التي نزلت على الرسول صلى الله عليه وسلم تأمره بالقراءة[4]. ومنها ما ورد في القرآن من الآيات مثل أول سورة القلم: ﴿نٓ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ١﴾[5]. واتخذ المسجد النبوي مسجدا للدراسة وتعليم الإسلام والرسول يعلم الصحابة فيها[6]. (كان أنس مما يقول لنا- إذا حدثنا هذا الحديث-: أنه والله ما هو بالذي تصنع أنت وأصحابك. يعني يقعد أحدكم تتجمعون حوله، فيخطب. إنما كانوا إذا صلوا الغداة قعدوا حلقا حلقا يقرءون القرآن ويتعلمون الفرائض والسنن[7].

---

[1] البخاري، محمد بن إسماعيل. ٢٠٠٢. *صحيح البخاري*. دمشق: دار دار ابن كثير. ص. ١٨٢٠ رقم الحديث ٧٣٧٢

[2] الواقدي، محمد بن عمر بن واقد السهمي. ١٩٨٩. *المغازي*. لبنان: دار الأعلمي. ط. الثالثة. ج. ١: ١٤٤

[3] الحنبلي، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل. *مسند الإمام أحمد بن حنبل*. القاهرة: دار الحديث. ط. الأولى. ج. ٣: ٢٠. رقم الحديث ٢٢١٥. حسنه شعيب الأرناؤوط (نفس المرجع).

[4] البخاري. محمد بن إسماعيل أبو عبد الله. ٢٠٠١. *صحيح البخاري*. دار طوق النجاة. ج. ١: ٢٣. رقم الحديث ٦٣.

[5] القرآن: القلم ٦٨:١.

[6] الحاكم النيسابوري، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله. ١٩٩٠. *المستدرك على الصحيحين*. ج. ١: ١٦٨. رقم الحديث ٣٠٩. على شرطهما و لم يخرجاه.

[7] الكناني، أبو العباس شهاب الدين أحمد. *إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة*. الرياض: دار الوطن للنشر. ط. الأولى. ج. ١: ٢٠٤. رقم الحديث ٢٧٥.هذا الإسناد فيه يزيد بن أبان الرقاشي، وهو ضعيف.

المطلب الثاني: الإسلام يجعل العلم والإقناع من شروط الإيمان.

الإسلام دين جاء ليخلص البشرية من عبادة غير الله سبحانه وتعالى، وعلى رغم هذا فإن مبدأ أساسي في دين الإسلام هو التعليم البشرية والإقناع بالعلم والفهم وعدم الإكراه. وفي القرآن آيات تدل على ذلك، منها قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٥٦ ﴾[1]. ذكر المفسرون أن من أسباب نزول هذه الآية هو أن بعض الآباء طلبوا السماح من النبي لإرغام أبنائهم الدخول في الإسلام بعد أن دعاهم و لم يستجيبوا، فنزلت هذه الآية لتمنع من ذلك[2]. قال ابن كثير رحمه الله: (وقد ذكروا أن سبب نزول هذه الآية في قوم من الأنصار، وإن كان حكمها عاما. (قال ابن جرير: عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: كانت المرأة تكون مقلاتا فتجعل على نفسها إن عاش لها ولد أن تهوده، فلما أجليت بنو النضير كان فيهم من أبناء الأنصار فقالوا: لا ندع أبناءنا فأنزل الله عز وجل: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ ﴾[3]. وتفسيره كما ورد لابن كثير رحمه الله: (لا تكرهوا أحدا على الدخول في دين الإسلام فإنه بين واضح جلي دلائله وبراهينه لا يحتاج إلى أن يكره أحد على الدخول فيه، بل من

---

[1] القرآن. البقرة ٢:٢٥٥. على شرطهما و لم يخرجاه.

[2] كراملكي، محمد حسن قدردان. ٢٠١٤. *القرآن والتعددية*. بيروت: دار الولاء. ط. الأولى. ص. ٧٧.

[3] ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل. ١٩٩٩. *تفسير القرآن العظيم*. دار الطيبة للنشر والتوزيع. ط. الثانية. ج. ١. ص. ٦٨٢. التخريج: أبو داود، سليمان ابن الأشعث. *سنن أبي داود*. بيروت: مكتبة العصرية. ج. ٣. ص. ٥٨. رقم الحديث ٢٦٨٢. صححه الألباني.

هداه الله للإسلام وشرح صدره ونور بصيرته دخل فيه على بينة، ومن أعمى الله قلبه وختم على سمعه وبصره فإنه لا يفيده الدخول في الدين مكرها مقسورا)[1].

ومن ذلك الآيات أيضا قول الله عز وجل: ﴿ وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَۚ بِئۡسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتۡ مُرۡتَفَقٗا ٢٩ ﴾[2]. وقول الله عز وجل: ﴿ إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرٗا وَإِمَّا كَفُورًا ٣ ﴾[3].

يقول محمد حسن بعد ذكر هذين الآيتين: (في البداية يؤكد الخالق من خلال تلك الآيتين على الهدف الرئيس لخلق الكون المتمثل في هداية الناس إلى الصراط المستقيم ثم يذكر بأن الهداية لا تتم بالإكراه وللجميع الحرية في اختيار الكفر أو الإيمان لهذا يشدد القرآن على هذا الموضوع مرارا وتكرارا ويعبر عنها بعبارات مختلفة)[4]، منها: ﴿ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُۗ ﴾[5]، ﴿نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَقُولُونَۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِجَبَّارٖۖ فَذَكِّرۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴾[6]، ﴿فَذَكِّرۡ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٞ ٢١ لَّسۡتَ عَلَيۡهِم بِمُصَيۡطِرٍ ﴾[7]. من خلال الآيات السابقة يرى الباحث أن الله

---

[1] المصدر نفسه. ج. ١. ص. ٦٨٢.

[2] القرآن. الكهف ١٨:٢٩

[3] القرآن. الإنسان ٧٦:٣

[4] كرامكلي، محمد حسن. ٢٠١٤. *القرآن والتعددية*. ص. ٧٧.

[5] القرآن. ال عمران ٣:٢٠.

[6] القرآن. ق ٥٠:٤٥.

[7] القرآن. الغاشية ٨٨:٢١،٢٢.

سبحانه وتعالى يرفض أن يدخل في الإسلام من ليس مقتنعا به، وإذا أقر المرء بالإسلام يبدأ المسؤولية والتكاليف الشرعية له.

وأمر آخر يلاحظه الباحث أن الإسلام بهذه الطريقة قد أعطى الحرية للأديان الأخرى أن تمارس تعاليمها ومعتقداتها بشرط أن يسمح لدعاة المسلمين أن يمارسوا الدعوة وينشروا الإسلام إلى الغير. بل وأكثر من ذلك يرى الباحث أن نقطة الخلاف والصداقة بين المسلمين وغيرهم في هذه النقطة الحساسة وهي أن المسلمين يبلغوا دعوتهم بحرية كاملة لغيرهم ويمارسوا إسلامهم كاملة. إذا تبادل غير المسلمين وردوا المسلمين الحرية بالحرية فقد تم المصالحة والتعاون بل الإتفاق في بعض المصالح المشتركة والعكس صحيح. يقول محمد حسن: (إن التأمل في مجمل الآيات التي تدعو إلى الجهاد ومواجهة الكفار والمشركين يبين لنا أن مواجهتهم للإسلام هي السبب في تصدي الإسلام لهم. فلو اكتفى الكفار بعقائدهم ولم يتخذوا موقف المواجهة والقتال مع المسلمين سبيلا لما كان القرآن أمر بمواجهتهم والجهاد ضدهم بل كان يدعو النبي إلى المداراة والتعايش معهم بسلام. يقول سبحانه وتعالى: ﴿۞ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٦١ ﴾[1].

وقوله تعالى:﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٌ أَوۡ جَآءُوكُمۡ حَصِرَتۡ صُدُورُهُمۡ أَن يُقَٰتِلُوكُمۡ أَوۡ يُقَٰتِلُواْ قَوۡمَهُمۡۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمۡ عَلَيۡكُمۡ فَلَقَٰتَلُوكُمۡۚ فَإِنِ ٱعۡتَزَلُوكُمۡ فَلَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ وَأَلۡقَوۡاْ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ عَلَيۡهِمۡ

[1] القرآن. الأنفال ٨:٦١.

سَبِيلًا ﴿٩٠﴾)[1][2]. يقول ابن كثير رحمه الله في تفسير الآية: (يقول تعالى: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا﴾ أي: مالوا (للسلم) أي المسالمة والمصالحة والمهادنة، (فاجنح لها) أي: فمل إليها، واقبل منهم ذلك؛ ولهذا لما طلب المشركون عام الحديبية الصلح ووضع الحرب بينهم وبين رسول الله – صلى الله عليه وسلم – تسع سنين؛ أجابهم إلى ذلك مع ما اشترطوا من الشروط الأخر)[3]. وأما في الاستشهاد من الحديث، ذكر ابن كثير: (عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنه سيكون بعدي اختلاف أو: أمر فإن استطعت أن يكون السلم، فافعل)[4]. فإيثار مبدأ السلم على الحرب ثابتة في القرآن والسنة ولهذا يرجح الباحث أن المبدأ الأساسي في الإسلام هي السلم مع غير المسلم. إلا أن يبادئ غير المسلم بالعداوة مع المسلمين، وهذا هو الأصل في الكفار طوال التاريخ لا يتوقفون عن الكيد للمسلمين وهذه أيضا سنة التدافع التي وضعها الله سبحانه وتعالى. ولكن هناك أمر مهم يجب ذكره في هذا الصدد أن الإسلام وإن كان يميل إلى السلام فهذا لا ينفي الإعداد والاستعداد بالقوة والعتاد.

ولما قال المولى عز وجل: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾)[5]. أراد الله سبحانه أن يبين حدود التعامل بوضوح ما بين المسلمين وغيرهم من الأمم والشعوب والأديان. قال الإمام الطبري في تفسير الآية: (وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: عُني بذلك: لا ينهاكم

---

[1] القرآن. النساء ٤:٩٠.

[2] كرامكلي، محمد حسن. ٢٠١٤. *القرآن والتعددية*. ص. ٨١.

[3] ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل. ١٩٩٩. *تفسير القرآن العظيم*. دار الطيبة للنشر والتوزيع. ط. الثانية. ج. ٤. ص. ٨٣.

[4] المرجع نفسه. ج. ٤. ص. ٨٣.التخريج: الحنبلي، أبو عبد الله أحمد بن محمد. ٢٠٠١. *مسند الإمام أحمد بن حنبل*. مؤسسة الرسالة. ط. الأولى. ج. ٢. ص. ١٠٥. رقم الحديث ٦٩٥. ضعيف. انظر التخريج من المحققين في نفس المرجع.

[5] القرآن. الممتحنة ٦٠:٨.

الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين، من جميع أصناف الملل والأديان أن تبرُّوهم وتصلوهم، وتقسطوا إليهم، إن الله عزّ وجلّ عمّ بقوله: ﴿الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ﴾ جميع من كان ذلك صفته، فلم يخصصْ به بعضًا دون بعض، ولا معنى لقول من قال: ذلك منسوخ، لأن برّ المؤمن من أهل الحرب ممن بينه وبينه قرابة نسب، أو ممن لا قرابة بينه وبينه ولا نسب غير محرّم ولا منهيّ عنه إذا لم يكن في ذلك دلالة له، أو لأهل الحرب على عورة لأهل الإسلام، أو تقوية لهم بكُراع أو سلاح)[1].

ولهذا أيضا عندما يدعوا المسلمون غيرهم للإسلام فقد أمر المولى جل وعلى بالحكمة والموعظة الحسنة. وإذا تطرق الأمر إلى الجدال فليكن الجدال بالتي هي أحسن. قال الله سبحانه وتعالى﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٢٥ ﴾[2]. وفي موضع آخر من القرآن قوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ٤٦ ﴾[3]. قال الإمام الطبري: (ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ادْعُ﴾ يا محمد من أرسلك إليه ربك بالدعاء إلى طاعته ﴿إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ﴾ إلى شريعة ربك التي شرعها لخلقه، وهو الإسلام ﴿بِالْحِكْمَةِ﴾ بوحي الله الذي يوحيه إليك وكتابه الذي ينزله عليك

[1] الطبري، محمد بن جرير. *جامع البيان عن تأويل آي القرآن*. ٢٠٠١. دار هجر للطباعة والنشر والإعلان. ط. ١. ج. ٢٢. ص. ٥٧٣

[2] القرآن. النحل ١٦:١٢٥.

[3] القرآن. العنكبوت ٢٩:٤٦.

﴿وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ وبالعبر الجميلة التي جعلها الله حجة عليهم في كتابه، وذكّرهم بها في تنـــزيله، كالتي عدّد عليهم في هذه السورة من حججه، وذكّرهم فيها ما ذكرهم من آلائه ﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ وخاصمهم بالخصومة التي هي أحسن من غيرها أن تصفح عما نالوا به عرضك من الأذى)[1].

من خلال عرض للآيات السابقة وبعض التفاسير اتضح بعض الأمور الآتية:

١. الإسلام يفتح مجال للتعليم ووسائل الإقناع ليؤمن الغير بالإسلام.

٢. أن الإسلام يراعي التعددية الدينية كما يحافظ على الدعوة إلى دين الله سبحانه وتعالى :

﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ۚ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾[2]

٣. والإسلام يدعو إلى السلم قبل الحرب مع أي طائفة كانت إلا من يبادئها بالعداوة فيكون موقفها الحزم.

٤. نقطة الخلاف الكبرى بين المسلمين وغيرهم هو السماح للمسلمين نشر دينهم وتنفيذ شريعتهم كما أمرهم ربهم. إذا منعهم غيرهم فيبدأ العداوة والمخاصمة بل الحرب والقتال.

٥. الإسلام لا يقبل أن يدخلها المرء كراهية بل الأساليب للدعوة مختلفة الحكمة، والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن.

---

[1] الطبري، محمد بن جرير. ٢٠٠١. *جامع البيان عن تأويل آي القرآن*. ج١٤٢٢. ص. ٤٠٠

[2] القرآن. الأنفال ٨:٣٩.

المبحث الثاني: سياسات التعليمية في المجتمع المدني.

سياسات التعليمية في عهد النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة المنورة ينقسم إلى قسمين، للمسلمين وهم الطائفة الكبرى والحاكم للبلاد وغير المسلمين الذين ينافسون المسلمين في العدد ويسكنون بجوار المسلمين وبينهم وبين المسلمين عهد. وهذا لأن من مواصفات السياسة الإدارية للرسول صلى الله عليه وسلم أن الدولة الإسلامية هي دولة دعوية يطمع في إسلام جميع أطياف الشعب بل العالم كله، فكان يهتم صلى الله عليه وسلم بتنظيم الدعوة للمسلمين ويترك المجال لمن أراد من غير المسلمين أن يشارك المسلمين في السماع والتعلم، فكان التركيز الكبير هي تعليم المسلمين دينهم وتثقيفهم.

المطلب الأول: إدارة التعليم للمسلمين.

المسلمون أمة إقرأ نزل القرآن في أول آيته يأمر نبيهم بأن يقرأ وهذا توجيها لأمته كذلك أن يهتموا بالقراءة والعلم. وهذا أكبر دليل على أن الإسلام يهتم بالعلم. أما إدارة التعليم للمسلمين يتناولها الباحث في نقاط التالية:

أولا: إرسال معلم للمدينة.

كان أول خطة مهمة لبناء الدولة الإسلامية هو تعليم وتثقيف المجتمع للفهم السليم وتربيتهم تربية إسلامية صحيحة حتى يستطيع المجتمع الإسلامي التحمل بأعباء قيام الدولة جديدة. وردت في النصوص أنه (بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم مصعب بن عمير، وأمره أن يقرئهم القرآن، ويعلمهم الإسلام، ويفقههم في الدين، فكان يسمى المقرئ بالمدينة : مصعب)[1].

ثانيا: فتح مدارس خاصة لمحو الأمية.

[1] ابن هشام، عبد الملك بن هشام. ١٩٥٥. *السيرة النبوية لابن هشام*، ج. ١. ص. ٤٣٥، التخريج: العمري، أكرم ضياء. ١٩٩٤. *السيرة النبوية الصحيحة*. ج:١: ١٩٨.

الرسول صلى الله عليه وسلم يعلم بأهمية القراءة العلم كما أشرنا سابقا ويسعى لمحو الأمية بين المسلمين ولهذا أشار الدراسات السابقة كان يأمر كل مهاجر يأتي إلى المدينة يتعلم من القارئ ويكون هذا من مهماته الأساسية في المدينة[1].

ثالثا: جعل الإسلام من وظائف رئيس الدولة وزيرا للتعليم.

ذكر في القرآن بشكل صريح ما يتعلق بوظائف الرسول صلى الله عليه وسلم ومنها أن يتولى شؤون التعليم بنفسه. يقول سبحانه وتعالى: ﴿كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ ١٥١﴾[2]. يقول ابن كثير: (فكانوا في الجاهلية الجهلاء يسفهون بالقول الفرى، فانتقلوا ببركة رسالته، ويمن سفارته، إلى حال الأولياء، وسجايا العلماء فصاروا أعمق الناس علما وأبرهم قلوبا وأقلهم تكلفا وأصدقهم لهجة)[3].

رابعا: أوجب كل من عنده العلم تبليغه للآخرين.

كان صلى الله عليه وسلم يهتم بالعلم ويجعلها سبيلا لرفع الأمم، لهذا أوجب من عنده علم تلبيغه للآخرين. (عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من سئل عن علم علمه ثم كتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار) قال الترمذي حسن صحيح[4].

خامسا: فتح مدارس خاصة لتعليم المرأة.

---

[1] عبد الله عبد العزيز بن إدريس. ١٩٨٢. *مجتمع المدينة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم*. السعودية: جامعة الملك سعود. ط. الأولى. ص. ٢٢٩.

[2] القرآن: البقرة ٢:١٥١.

[3] ابن كثير.١٩٩٩. *تفسير القرآن العظيم*. ، ج١، ص٤٦٤

[4] الترمذي. حمد بن عيسى بن سَوْرة. ١٩٩٨. *الجامع الكبير – سنن الترمذي*. بيروت: دار الغرب الإسلامي. ج. ٤. ص. ٣٢٦. رقم الحديث ٢٦٤٩.

بوب البخاري باب: (هل يجعل للنساء يوما على حدة؟ فذكر قول النساء لرسول الله صلى الله عليه وسلم: غلبنا عليك الرجال، فاجعل لنا يوما من نفسك، فوعدهن يوما لقيهن فيه، فوعظهن وأمرهن)[1].

سادسا: وضع المنهج الدراسي.

من حكمته صلى الله عليه وسلم الوضوح في وضع المنهج الدراسي كي يصل بالمسلمين للهدف المنشود وهو إقامة الإسلام ولكي لا يكون فتنة ويكون الدين كله لله. فكان المنهج التعليمي مبني على أسس القرآن الكريم والسنة النبوية وتعليم القراءة والكتابة لكي يخدم الهدف الأول. يصف أحد الصحابة عن حالهم في التعليم عن أبي عبد الرحمن السلمي قال: (عن ابن مسعود، قال: كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن، والعمل بهن)[2]. ويشير إلى هذا الدراسات السابقة أن المنهج الدراسي في عهد الرسول كان أساسه (هو القرآن لاشتماله على تعاليم الإسلام، التي تنظم حياة المسلمين في أمور الدين والدنيا)[3]. أما تعليم القراءة والكتابة فقد أشار الباحث إليه سابقا.

سابعا: الاهتمام بدراسة القرآن.

كان الرسول صلى الله عليه وسلم يهتم اهتماما بالغا بمدارسة القرآن وحفظه. يأمر الصحابة أن (عن عقبة بن عامر الجهني، قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نتدارس القرآن، قال: " تعلموا القرآن واقتنوه – قال قباث: ولا أعلمه إلا قال – وتغنوا به، فإنه أشد تفلتا من المخاض في

---

[1] البخاري. محمد بن إسماعيل أبو عبد الله. ٢٠٠١. *صحيح البخاري*. ج. ١: ٣٢. رقم الحديث .١٠١.

[2] الطبري، محمد بن جرير. ٢٠٠٠.*جامع البيان في تأويل القرآن*. مؤسسة الرسالة. ط. الأولى. ج. ١: ٣٨٨. رقم الحديث ٨١. أحمد شاكر : صحيح. راجع نفس المرجع

[3] عبد الله عبد العزيز بن إدريس. ١٩٨٢. *مجتمع المدينة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم*. ص. ٥٥.

عقلها)[1]. وكان يخص الصغار بتعلم القرآن: (عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من تعلم القرآن في شبيبته اختلط القرآن بلحمه ودمه ومن تعلمه في كبره وهو يتفلت منه فلا يتركه فله أجره مرتين)[2].

ثامنا: فتح فصول لتعليم علم الأنساب.

حث الرسول صلى الله عليه وسلم تعلم علم الأنساب بقوله عن: (ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اعرفوا أنسابكم تصلوا أرحامكم، فإنه لا قرب لرحم إذا قطعت، وإن كانت قريبة، ولا بعد لها إذا وصلت وإن كانت بعيدة)[3]. وذكر في المصادر أن بعض الصحابة في علم الأنساب مثل (مصعب وابن كيسان والزبير بن بكار وهم أعلم الناس بهذا الشأن وأوثق من ينسب علم ذلك إليه).[4]

تاسعا: تحديد أوقات للإجازة والإستراحة.

ذكر في الأحاديث عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان صلى الله عليه وسلم (يتخوّلنا بالموعظة في الأيام، كراهة السآمة علينا).[5] يستفاد من الحديث أنه صلى الله عليه وسلم كان يحدد أوقاتا يستريح فيها المرء بعد التلقي. حتى يبدأ الدرس الثاني بنشاط.

عاشرا: المسجد مدرسة.

الرسول صلى الله عليه وسلم يحدد المسجد كدار للتعليم حيث يقول: (عن أبي هريرة، عن النبي صلى

---

[1] الحنبلي، أبو عبد الله أحمد بن محمد. ٢٠٠١. *مسند الإمام أحمد بن حنبل*. مؤسسة الرسالة. ط. الأولى. ج. ٢٨. ص. ٦١٦. رقم الحديث ١٧٣٩٤. صحيح. انظر التخريج من المحققين في نفس المرجع المرجع نفسه.

[2] البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي. ١٩٨٩. *السنن الصغرى للبيهقي*. باكستان: جامعة الدراسات الإسلامية. ط. الأولى. ج. ١. ص. ٣٣٧. رقم الحديث ٩٤٩. ذكره في كنز العمال، ونسبه للحاكم وأبو نعيم.

[3] الحاكم النيسابوري، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله. ١٩٩٠. *المستدرك على الصحيحين*. بيروت: دار الكتب العلمية. ط. الأولى. ج. ١: ١٦٥. رقم الحديث ٣٠١. ذكر الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط البخاري، و لم يخرجه

[4] القرطبي، أبو عمر يوسف بن عبد الله. ١٩٨٥. *الإنباه على قبائل الرواة*. بيروت: دار الكتاب العربي. ط. الأولى. ص. ٤٢.

[5] البخاري. محمد بن إسماعيل أبو عبد الله. ٢٠٠١. *صحيح البخاري*. ج. ١: ٢٥. رقم الحديث .٦٨.

الله عليه وسلم، قال: من جاء مسجدنا هذا يتعلم خيرا أو يعلمه فهو كالمجاهد في سبيل الله).[1] وقد بوّب البخاري في الصحيح باب الحلق والجلوس في المسجد. أي جواز ذلك فيه لتعلم العلم، وقراءة القرآن، والذكر ونحو ذلك، وإن استلزم ذلك استدبار بعضهم القبلة.[2] وقد عقد الإمام اليوسي فصلا في قانونه ذكر فيه أصول طرق نشر العلم، فقال: أما التعليم بصورة التدريس فأصله ما كان صلى الله عليه وسلم يفعله في مجالسه مع أصحابه، من تبيين الأحكام.[3]

الحادي عشر: التناوب بين المعلمين.

يذكر في الروايات أن عبد الله بن رواحة يقول لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: (تعالوا حتى نؤمن من ساعة فيجلسون إليه، فيذكرهم العلم بالله، والتوحيد في الآخرة[4]، وكان يخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد قيامه، فيجمع الناس ويذكرهم الله، ويفقههم فيما قال رسول الله[5] صلى الله عليه وسلم).[6] ويروى نحو هذا عن معاذ بن جبل: وكان يتكلم في هذا العلم. وذكر أيضا في حديث آخر قوله صلى الله عليه وسلم : (عن ابن عباس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: تسمعون ويسمع منكم، ويسمع من الذين يسمعون منكم).[7]

---

[1] الحاكم النيسابوري، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله. ١٩٩٠. *المستدرك على الصحيحين*. ج. ١: ١٦٨. رقم الحديث ٣٠٩. قال الذهبي : تابعه حيوة عن أبي صخر وهو على شرطهما (راجع نفس المرجع).

[2] الكتاني، محمد عَبْد الحَيّ بن عبد الكبير. *التراتيب الإدارية والعمالات والصناعات والمتاجر والحالة العلمية التي كانت على عهد تأسيس المدنية الإسلامية في المدينة المنورة العلمية*. بيروت: دار الأرقم. ط. الثانية. ج. ٢. ص. ١٥١.

[3] المرجع نفسه. ج. ٢. ص. ١٥١.

[4] ابن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله بن محمد. ١٩٨٣. *كتاب الإيمان*. بيروت: المكتب الإسلامي. ج. ١: ٤٤. رقم الحديث ١١٦. قال الألباني: اسناده ضعيف.

[5] الدمشقي، نجم الدين محمد بن محمد الغزي. ١٩٩٥. *إتقان ما يحسن من الأخبار الدائرة على الألسن*. ج. ١: ٤٠. رقم الحديث ٥٢. قال المؤلف: اسناده حسن.

[6] الكتاني، محمد عَبْد الحَيّ بن عبد الكبير. *التراتيب الإدارية والعمالات والصناعات والمتاجر والحالة العلمية التي كانت على عهد تأسيس المدنية الإسلامية في المدينة المنورة العلمية*. ج. ٢. ص. ١٥٣.

[7] الحاكم النيسابوري، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله. ١٩٩٠. *المستدرك على الصحيحين*. القاهرة: الفاروق الحديثة للطباعة والنشر. ج. ١: ١٧٤. رقم الحديث ٣٢٧. قال الذهبي: على شرطهما.

الثاني عشر: نظام التناوب في حضور الدروس.

الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يعملون ليسد حاجاتهم اليومية ولا يستطيع البعض منهم حضور المجالس يوميا مع الرسول صلى الله عليه وسلم أو مع معلميه، فكان هناك نظام التناوب لألا يفوتهم أي درس من الدروس إلا استوعبوها. فيذهب الصحابي يوما ويناوبه جاره في اليوم الآخر ثم يعلم الحاضر الغائب. (عن عبد الله بن عباس، عن عمر، قال: كنت أنا وجار لي من الأنصار في بني أمية بن زيد وهي من عوالي المدينة وكنا نتناوب النزول على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ينزل يوما وأنزل يوما، فإذا نزلت جئته بخبر ذلك اليوم من الوحي وغيره، وإذا نزل فعل مثل ذلك، فنزل صاحبي الأنصاري يوم نوبته).[1] نلاحظ في هذا الأثر حرص الصحابة للتعلم مع كبر سنهم وانشغالهم بالحياة. والمطالب الحياة اليومية لم يوقفهم عن حصول العلم والتفوق فيها.

الثالث عشر: حركة جمع العلم.

الرسول صلى الله عليه وسلم أمر أن يحفظ العلم بالكتابة خشية أن يضيع فقال : (قيدوا العلم بالكتاب).[2] فيكلف بعض الصحابة بجمع القرآن والحديث منهم كتاب الوحي المشهورين ومنهم حفاظ الأحاديث وكاتيبها. فالعلوم الإسلامية التي وصلت إلينا اليوم ما كانت تصل بهذا القدر من الدقة في التحمل والأداء إلا من خلال طاعة هؤلاء الصحابة رضوان الله عليهم وحرصهم على العلم والتعلم والتدوين ولو كانت التدوين قليل في تلك الفترة من الزمان. وأيضا نستنبط من الأمر النبوي هنا كيف أن في أيامنا هذه يأمر المدرسين بتدوين العلوم في الكراسات ويأمرهم بالواجبات المترلية ويسلموها في اليوم التالي، كان اقتباسا من الوصية النبوية كي يقيدوا العلم بالكتاب.

الرابع عشر: تعظيم المعلم وتوقيره.

---

[1] البخاري. محمد بن إسماعيل أبو عبد الله. ٢٠٠١. *صحيح البخاري*. ج. ١: ٢٩. رقم الحديث .٨٩.

[2] الحاكم النيسابوري، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله. ١٩٩٠. *المستدرك على الصحيحين*. ج. ١: ١٨٨. رقم الحديث ٣٦٠. صحيح على شرطهما.

علم الرسول ثلى الله عليه وسلم أن يوقروا العلماء ويرفع من قدرهم. فكان يجلسون رضي الله عنهم أمام الرسول بوقارة. (عن عبد الله بن بريدة، عن أبيه، قال: كنا إذا قعدنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم لم نرفع رءوسنا إليه إعظاما له).[1] وكان يقول صلى الله عليه وسلم: (ليس منا من لم يجل كبيرنا، ويرحم صغيرنا، ويعرف لعالمنا).[2] فالإسلام يحرص حرصا شديدا احترام المعلمين، ونستغرب عندما نقرأ في الصحف والجرائد من قلة احترام الطلاب بالمعلمين ويعاملونهم بالسوء. وهذا ناتج عن جهلهم بأدب المتعلم المقتبسة من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم.

الخامس عشر: وجوب التعليم للرجال.

ومما نستنبطه من سياسته صلى الله عليه وسلم أنه أوجب طلب العلم للرجال. وبذلك يعلم أهله ويرشدهم، قال الرسول صلى الله عليه وسلم : (طلب العلم فريضة على كل مسلم)[3]. وهذا الوجوب للتعلم الرجال بني عليه فوائد وأسس كثيرة في الحياة. منها أن الرجال إذا تعلموا غيروا من تصوراتهم وبالتالي يغيرون مسير أسرتهم معهم ويبنون أولادهم على أسس إسلامية صحيحة. وإذا دخلوا في الوظائف الحكومية وغير الحكومية التي أغلبها للرجال يعملون فيها بالأمانة. وإذا كلفوا بالأمور الوزارية في الدولة يعلمون فيها بإخلاص وجد يخدمون بلادهم ويرفعون من شأن إخوانهم المسلمين. كل هذا وغيره منبعه من العلم الصحيح الذي وجب على الرجال تعلمه كي يغير من مسار المجتمع. فحكمة الرسول في هذا الأمر ظاهر وواضح في بناء الأمة القوية من خلال العلم.

السادس عشر: إنشاء معهد وسكن خاص للمحتاجين.

---

[1] المرجع نفسه. ج. ١: ٢٠٨. رقم الحديث ٤١٥. صحيح على شرطهما.

[2] المرجع نفسه. ج. ١: ٢١١. رقم الحديث ٤٢١. صحيح على شرطهما.

[3] ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني. *سنن ابن ماجه*. دار إحياء الكتب العربية. ج. ١: ٨١. د. ط. رقم الحديث ٢٢٤. قال فؤاد عبد الباقي: إسناده ضعيف. وقال السيوطي سئل الشيخ محي الدين النووي رحمه الله تعالى عن هذا الحديث فقال انه ضعيف أي سندا، وإن كان صحيحا أي معنى. وقال تلميذه جمال الدين المزي هذا الحديث روى من طرق تبلغ رتبة الحسن، وهو كما قال: فإني رأيت له خمسين طريقا وقد جمعتها في جزء (ارجع نفس المرجع).

يذكر في السير أن الفقراء من المهاجرين وبعض الأنصار أعد لهم مكان خاص يمسى الصفة وكانوا يصلون فيها ويقرءون القرآن ويتدارسون آياته ويذكرون الله تعالى، ويتعلم بعضهم الكتابة فيها[1] واشتهر بعضهم بالعلم وحفظ الحديث مثل أبي هريرة رضي الله عنه وحذيفة بن اليمان الذي اشتهر بأحاديث الفتن، والرسول كان يتعهدهم بنفسه ويعلمهم[2]. وكان الالتحاق مثل هذا المحضن الذي أنشأه النبي مجانا ومفتوح لكل الناس وشروط التحاقه أيضا مفتوح أن يسلم نفسه لله رب العالمين. وأمر الآخر الذي يلاحظه الباحث هذه الفكرة من المحاضن هي التركيز لبناء أفراد متفرغين للعلم وللعبادة وتهيئة الجو المناسب لها. وقضية أخرى، ما نلاحظه في أيامنا الحاضرة من كثرة الفقراء الذين ينامون في الشوارع هم مصدر من مصادر الجرائم حيث يفعلون أي شيء في مقابل المال. فكون الرسول صلى الله عليه وسلم يجمعهم في مكان واحد ويعطيهم تعاليم الإسلام ويؤهلهم ليندمجوا مع المجتمع علميا وثقافيا ربما يستطيع مستقبلا أن يقف على رجليه بل يكون أحد الذين يخدمون دينه. ومثل هذه المحاضن خرج منها أبو هريرة رضي الله عنه الذي خدم الغسلام والمسلمين إلى يومنا هذا برواياته للأحاديث.

المطلب الثاني: سياسة التعليم لغير المسلمين.

أولا: حرية التعليم.

من سياسته عليه الصلاة والسلام إعطاء حرية التعليم للجميع بصرف النظر عن الديانات والأعراق. ذكر الدراسات السابقة أن اليهود لديهم مدرسة خاصة يسمى (بيت المدراس مكانا لتعليم القراءة

---

[1] العمري، أكرم ضياء. ١٩٩٤. *السيرة النبوية الصحيحة*. السعودية: مكتبة العلوم والحكم. ط. السادسة. ج. 1. ص. ٢٦٣-٢٦٤.

[2] العمري، أكرم ضياء. ١٩٨٣. *المجتمع المدني في عهد النبوة*. السعودية: المجلس العلمي إحياء التراث الإسلامي. د. ط. ص. ٩١-٩٩. وكذلك ارجع إلى: العمري، أكرم ضياء. ١٩٩٤. *السيرة النبوية الصحيحة*. السعودية: مكتبة العلوم والحكم. ط. السادسة. ج. 1. ص. ٢٦٦.

والكتابة والأمور الدينية)[1]. وثبت أن الرسول ذهب إلى المدراس بهدف الدعوة إليهم (عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: بينما نحن في المسجد إذ خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: (انطلقوا إلى يهود) فخرجنا معه حتى جئنا بيت المدراس، فقام النبي صلى الله عليه وسلم فناداهم: (يا معشر يهود، أسلموا تسلموا) فقالوا: قد بلغت يا أبا القاسم، فقال: (ذلك أريد) ثم قالها الثانية، فقالوا: قد بلغت يا أبا القاسم، ثم قال الثالثة)[2]. فهذه المدارس كانت مصرحة من قبل الرسول صلى الله عليه وسلم ولو كانت تدرس الدين اليهودي. فكان حرية التعليم ظاهر وواضح من خلال هذه الأحاديث. و لم يسبق إلى أنهم جاؤوا إلى الرسول ويشتكون أنهم منعوا من تعليم دينهم أو استولى المسلمون على أحد مدارسهم. بل يستعملها النبي صلى الله عليه وسلم في الدعوة إليهم. والأصل في المدارس كما يراه الباحث أنها لنشر العلم ويرفع من قدر العلم واللعلماء ومكان لنشر الإسلام كذلك. ولا مجال إلى التطرف والغلو والتعصب. بهذا يفتح مجال للطلاب أن يتقدموا إلى الأمام بإعمال عقولهم لاختيار الحق.

ثانيا: توحيد اللغة الرسمية.

ومن حكمته صلى الله عليه وسلم لتوحيد الأعراق بالمدينة أن جعل اللغة التي تستخدم للجميع هي العربية. وقد ثبت في الدراسات السابقة أن اليهود كانوا يتحدثون بالعربية (كما يشهد بذلك الحوارات التي جرت بين النبي صـــلى الله عليه وسلم واليهود)[3]. ومن طبيعة أي شعوب العالمية لديهم لغة موحدة يلتزمون بها ويمارسونها في حياتهم اليومية فيما بينهم. ولهذا تستطيع أي شعب من الشعوب

---

[1] أبو زهري، سامي حمدان. ٢٠٠٤. *يهود المدينة في العهد النبوي أوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية والثقافية*. (رسالة ماجستير). الجامعة الإسلامية غزة. ص. ٢٣٥. انظر إلى البخاري. محمد بن إسماعيل أبو عبد الله. ٢٠٠١. *صحيح البخاري*. ج. ٩: ٢٠. رقم الحديث .٦٩٤٤.

[2] البخاري. محمد بن إسماعيل أبو عبد الله. ٢٠٠١. *صحيح البخاري*. ج. ٩: ٢٠. رقم الحديث .٦٩٤٤.

[3] أبو زهري، سامي حمدان. ٢٠٠٤. *يهود المدينة في العهد النبوي أوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية والثقافية*. ص. ٢٣١. المثال على الحوارات ارجع إلى : البخاري. محمد بن إسماعيل أبو عبد الله. ٢٠٠١. *صحيح البخاري*. ج. ٦: ٨٧. رقم الحديث .٤٧٢١.

أن تلتحم فيما بينها وتتوحد ولديها حوية خاصة والشعور الانتماء للوطن. وذكر الباحث لهذه السياسة من النقاط المهمة في رأي الباحث لأن التعليم ماليزيا التي نحن بصدد الكلام عنها في الفصل القادم يتكون من المدارس الوطنية الخاصة للأعراق الثلاثة الملايوية والصينية والتاملية. مما يراه الباحث أمر غريب بالمقارنة إلى الدول الكبرى في العالم.

ثالثا: حرية تعليم واستخدام اللغة الأصلية للأعراق.

ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يمنع على اليهود ولا غيرهم دراسة لغتهم الأصلية ونستنبط من هذا ما ورد أن (زيد بن ثابت الأنصاري[1] النجاري ترجمان الرسول صلى الله عليه وسلم، بالسريانية والفارسية والرومية والقبطية والحبشية تعلم ذلك بالمدينة من أهل هذه الألسن)[2]. وهذا من حكمته صلى الله عليه وسلم الذي يشرع لتعليم لغات العالم. والإسلام ليس من هدفه حذف للغة معينة أو استهزاء لغة دون الآخر. ولكن هناك شعوب وقبائل ليتعارفوا فيما بينهم ووجود هذه اللغات من السنن الإلهية حيث الكتب والأنبياء السابقين ليسوا على لغة واحدة بل كل نبي أرسل بلغة قومه. ولكن الرسالة واحدة وهي عبودية الله واجتناب الطاغوت.

رابعا: حرية تعليم الديانات.

ومما أشرنا سابقا ما ورد عن يهود المدينة أن المدارس كانت مكانا لتعليم دينهم ومعتقداتهم. و لم يسبق ورد في الروايات سواء إسلامية أو غير إسلامية أن الرسول صلى الله عليه وسلم منع من تدريس أو إيمان بأي معتقد كان موجود. بل الجميع كان حر في معتقده حتى المنافقين لم يتعرض الرسول صلى الله عليه وسلم بالإيذاء لهم أو تعدي.

خامسا: فتح مجال لعلم مقارنة الأديان.

---

[1] الذهبي، شمس الدين. ٢٠٠٦. *سير أعلام النبلاء*. القاهرة: دار الحديث. ج٤: ٦٧.

[2] عبد الله بن عبد العزيز. ١٩٨٢. *مجتمع المدينة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم*. ص. ٥٥ نقلا عن: الخزاعي : تخريج الدلالات السمعية، ورقة ٦٠ ،مخطوطة مصورة بمعهد المخطوطات العربية، جامعة الدول العربية، رقم الميكروفيلم ١٥٨.

ومما يستنبطه الباحث خلال الاستقراء من سياسته صلى الله عليه وسلم، أنه كان يسمح لغير المسلمين أن يحاورا المسلمين في دينهم. ويتم ذلك أحيانا بعرض اليهود لما في كتبهم للمسلمين. ورد في البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال (كان أهل الكتاب يقرءون التوراة بالعبرانية، ويفسروها بالعربية لأهل الإسلام)[1]، ويلاحظ أن الرسول لم يمنعهم من السماع (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، وقولوا: ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٦ ﴾[2].[3]

المبحث الثالث: أثر السياسات التعليمية في بناء المجتمع.

يتبين هذا الأثر من خلال نقطتين أساسيين هما:

أولا: وضع أساسيات التعليمية الواضحة في بناء المجتمع وقد قام الباحث في الإشارة عنها في المبحث الثاني.

ثانيا: طريقة تعامل النبي صلى الله عليه وسلم مع الأعراق المتعددة في المدينة، وهذا ما سيطرق إليها الباحث كمقدمة قبل عرض الآثار لإنه في نظر الباحث لا يمكن أن نتكلم عن الآثار قبل أن نعرف من

[1] البخاري. محمد بن إسماعيل أبو عبد الله. ٢٠٠١. *صحيح البخاري*. ج. ٦: ٢٠. رقم الحديث ٤٤٨٥.

[2] القرآن. البقرة ٢:١٣٦.

[3] البخاري. محمد بن إسماعيل أبو عبد الله. ٢٠٠١. *صحيح البخاري*. ج. ٦: ٢٠. رقم الحديث ٤٤٨٥.

المتأثرين لهذه الآثار وكيف كان حالهم، ثم يأتي الآثار ليعرض عن كيف أصبحوا بعد أن كانوا.

لأن عرض الآثار دون معرفة المتأثرين ربما يؤدي إلى الرأي بأن ما وضعه الرسول صلى الله عليه وسلم من السياسات التعليمية لغير المسلمين خصوصا إنما هو نتيجة عدم الاهتمام بغير المسلمين بقدر الذي يهتم بشؤوون المسلمين. فالجواب على هذا أن غير المسلمين لهم نظمهم وتعاليمهم مسبقا، ولكن المسلمون أقبلوا على دين جديد يكاد يغير من مجرى حياتهم تماما ولهذا يهتم بهم النبي دون غيرهم. ولهذا يتبين من خلال عرض معاملته صلى الله عليه وسلم للأعراق المختلفة أن وضع هذه السياسات كان مقصودا بها وهو كان يهتم بغير المسلمين وأراد النبي بهذه السياسة أن يستميلهم إلى الإسلام.

المطلب الأول: عناصر السكان في المدينة.

يقسم المؤرخون مجتمع المدينة إلى عدة أطياف منهم اليهود، الأوس والخزرج لقبهم الرسول صلى الله عليه وسلم بالأنصار، المهاجرون، المنافقون، والمشركون،[1] وغيرهم ما سيطرق الباحث إلى الكلام عنهم في النقاط القادمة.

الفرع الأول : اليهود

اليهود طائفة كبيرة كانت تعيش في يثرب تتكون من عدة قبائل المعروفة مثل بني النضير والقينقاع وقريظة.

أولا: أصلهم.

هناك تساؤل هل اليهود في يثرب من أصل النسب بني إسرائيل أم هم عرب قد تهودوا. يشير الدراسات السابقة أن هناك رأيين في هذا الأمر من بين المؤرخين، الأول أنهم من أصل النسب

[1] يوسنو عبد الله. ٢٠١٠."Madinah Dan Pluralisme Sosial (Studi atas Kepemimpinan Rasulullah Saw" . *Jurnal Al-Syir'ah* .Sulawesi .Institut Agama Islam Negeri Manado. العدد ٨. رقم ٢. ص ٤٨١.

اليهودية من إسرائيل وهو لقب نبي الله يعقوب عليه السلام، وهجرتهم إلى يثرب على روايات تختلف هل قبل الميلاد أم بعده. أما الروايات التي تشير أنها قبل الميلاد فكلها حسب الدراسات السابقة أنها غير صحيحة ومشككة. وأما بعد الميلاد يقول سامي حمدان: (والذي يميل إليه المؤرخون أن هجرتهم كان بعد الميلاد وتتميز هذه الهجرات عن الهجرات السابقة بأنها أكثر وضوحاً، وتستند إلى مستند صحيح)[1]. أما سبب الهجرة فقد ذكر سامي حمدان: (هو قتل اليهود لأحد ملوك الرومان بسبب زواجه من إحدى اليهوديات، ثم فرارهم إلى بلاد الحجاز خوفاً من بطش الرومان الذين أرسلوا جيشاً لإدراكهم، لكن هذا الجيش هلك عطشاً حسب هذه الروايات في منطقة عرفت باسم ثمد الروم ويؤيد الكثير من الباحثين صحة هذا الرأي ويؤكدون حدوث فيما بعد هجرة لبعض المجموعات اليهودية خلال عهد الاحتلال الروماني لفلسطين)[2]. والرأي الثاني أنهم من أصل العرب قد تهودوا. ومما يشير إلى ذلك أنهم لا يمارسون كامل عادات اليهود بل هناك خلط وأيضا أسمائهم لم تكن عبرية جميعهم[3]. ولكن هذا الرأي لم يلق قبول من المؤرخين. والذي يميل إليه الباحث الرأي الأول بالشواهد والأدلة القوية تؤكد هذا الرأي منها:

- يخاطب القرآن اليهود في المدينة بمصطلح (بني إسرائيل) كقوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ٤٠ وَءَامِنُواْ

[1] أبو زهري، سامي حمدان. ٢٠٠٤. *يهود المدينة في العهد النبوي أوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية والثقافية*. ص. ٣٥.

[2] المرجع نفسه. ص ٣٥-٣٦

[3] ارجع إلى : عبد الله عبد العزيز بن إدريس. ١٩٨٢. *مجتمع المدينة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم* ص. ٣٢-٤١

بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِۦ ۖ وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ ﴿٤١﴾ ﴾[1][2].

- القرآن الكريم يبين الصفات والأخلاق لليهود في عهده صلى الله عليه وسلم ويربطها بأسلافهم من اليهود. ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾[3].

- يقول ابن كثير: (يقول تعالى مذكرا بني إسرائيل ما أخذ عليهم من العهود والمواثيق بالإيمان به وحده لا شريك له واتباع رسله، وأخبر تعالى أنه لما أخذ عليهم الميثاق رفع الجبل على رؤوسهم ليقروا بما عوهدوا عليه، ويأخذوه بقوة وحزم وهمة وامتثال)[4].

- (لم يذكر النسابون العرب أياً من قبائل اليهود في المدينة أو غيرها من أقاليم الحجاز ضمن الأنساب العربية مما يدلل على أنهم ليسوا عرب)[5].

- (استعمال اللغة العبرية إلى جانب اللغة العربية، ويتضح ذلك من تكليف النبي صلى الله عليه وسلم لزيد بن ثابت بتعلم لغة يهود).[6]

ثانيا: عددهم.

---

[1] القرآن. البقرة ٢: ٤٠،٤١.

[2] أبو زهري، سامي حمدان. ٢٠٠٤. *يهود المدينة في العهد النبوي أوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية والثقافية*. ص. ٢١.

[3] القرآن: البقرة ٢:٦٣.

[4] ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل. ١٩٩٩. *تفسير القرآن العظيم*. دار الطيبة للنشر والتوزيع. ط. الثانية. ج. ١. ص. ٢٨٧.

[5] أبو زهري، سامي حمدان. ٢٠٠٤. *يهود المدينة في العهد النبوي أوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية والثقافية*. ص. ٢٢.

[6] المرجع نفسه. ص. ٢٤. وارجع إلى: الذهبي، شمس الدين. ٢٠٠٦. *سير أعلام النبلاء*. القاهرة: دار الحديث. ج٤: ٦٧.

يشير الدراسات السابقة أن عدد بني قينقاع حوالي سبعمائة رجل ومتوسط تقديري لعدد النساء والأولاد عددهم كاملا حوالي ألفين وثمانمائة شخص. وأما بني قريظة حوالي سبعمائة وخمسين رجل يعني حصرهم بالأزواج والأولاد حوالي ثلاث آلاف شخص. أما بني النضير فهم أيضا في عدد بني قينقاع وقريظة والثلاثة يمثل القبيلة الكبرى لليهود في يثرب. أما بقية القبائل عددهم تقريبا نيفا وعشرين قبيلة وهذا يشير إلى كثرة تفريعاتهم وأنهم يمثلون قبائل عدة وليس هناك مصادر حسب علم الباحث عن اعددهم[1]. وبعض الدراسات السابقة الأخرى أشارت إلى أن عددهم جميعا بجمع ثلاث قبائل الكبيرة النضير وقريظة وقينقاع ٤٤٠٠. أكثرهم من بني قينقاع ١٥٠٠ شخص وقريظة ١٤٠٠ والباقي عدد بني النضير[2]. ولكن لم تشر ما إذا كانت عددهم جميعا بما فيه من الرجال والنساء والأطفال أم الرجال والنساء فقط. في رأي الباحث العدد يشمل الرجال والنساء فقط دون الأطفال فيكون القولان الأول والثاني متقاربان.

ثالثا: أحوالهم.

كان اليهود أصحاب الثروة والجاه لاحتلالهم أخصب مواقع المدينة وهو ما خلق فيهم روح التعالي على من كان معهم من العرب ممن حالفهم وجاورهم. وقد عمل الأوس والخزرج على إذلالهم ومحاربتهم مستعينا ببني عمومتهم الغساسنة بالشام حتى ضعف أمرهم وصاروا حلفاء للأوس والخزرج. وبعد أن يئس اليهود من استعمال القوة ضد الأوس والخزرج عمدوا إلى الحيلة بالدس بين

---

[1] ارجع إلى : عبد الله عبد العزيز بن إدريس. ١٩٨٢. *مجتمع المدينة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم*. ص. ٤١-٤٢.

[2] نور شهيرة أميليا بنت مات روهاني. ٢٠١٦. *"Pengurusan Rasulullah s.a.w. Dalam Mempersaudarakan Masyarakat di Madinah"*. Prosiding Seminar Pengurusan Islam: Ke Arah Pemantapan Ummah. Jabatan Pengajian Dakwah dan Kepimpinan, Fakulti Pengajian Islam الجامعة الوطنية الماليزية. ص. ٢.

القبيلتين فنشبت حروب كثيرة بين القبيلتين حتى ضعفت قوتهم. ومنها وقعة بعاث قبيل الهجرة بخمس سنين التي بسببها مال القبيلتين إلى السلم بسبب ضعف قوتهم[1].

رابعا: معتقداتهم.

معتقد اليهود في تلك الوقت ينقسم إلى قسمين. قسم بقوا على اليهودية بعد مجيئ رسول الله صلى الله عليه وسلم. وهم الذين أجلاهم النبي من بني قريظة وقينقاع ونضير.

وقسم أسلموا مع النبي صلى الله عليه وسلم وانخرطوا في الإسلام. يقول عبد الله عبد العزيز: (إلا أننا لا نستبعد أن المقصود من إيصال عدد قبائل اليهود إلى هذا العدد الكبير هو إظهار كثرة تفرعاتهم وأنهم يمثلون قبائل عدة، وليسوا مقتصرين فقط على بني قريظة أو بني قينقاع أو بني النضير الذين انتهى أمرهم في المدينة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، مما يعطي انطباعا بأن هناك أعدادا كبيرة من اليهود قد دخلوا في الإسلام وانصهروا كلية في مجتمعه بالمدينة، وأصبحوا جزءا من تركيبه وبنيته)[2].

وعد عددهم اثنين وثلاثون من الرجال وأربعة من النساء. من الرجال أسد وأُسيد ابنا كعب، أسيد بن عبيد وأسيد وثعلبة ابنا سعية، تمام بن يهودا، ثعلبة بن سلام، جبل بن جوال الثعلبي رضي الله عنهم أجمعين. ومن النساء: صفية أم المؤمنين، صفية بنت حيي بن أخطب زعيم بني النضير، ريحانة: وهي ريحانة بنت عمرو بن خنافة، خالدة بنت الحارث، زوج أوس بن ذي القرظي رضي الله عنهم أجمعين[3].

---

[1] ارجع إلى : عبد الله عبد العزيز بن إدريس. ١٩٨٢. *مجتمع المدينة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم*. ص. ٤٤-٤٥.

[2] عبد الله عبد العزيز بن إدريس. ١٩٨٢. *مجتمع المدينة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم*. ص. ٤٢.

[3] ارجع إلى : أبو زهري، سامي حمدان. ٢٠٠٤. *يهود المدينة في العهد النبوي أوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية والثقافية*. ص.١٨٩.

وذكر كتب السير أن من اليهود من دخل في الإسلام متظهرا به واندمجوا من المنافقين. نقل ابن هشام عن ابن اسحاق: (قال ابن إسحاق: ونصبت عند ذلك أحبار يهود لرسول الله صلى الله عليه وسلم العداوة، بغيا وحسدا وضغنا، لما خص الله تعالى به العرب من أخذه رسوله منهم، وانضاف إليهم رجال من الأوس والخزرج، ممن كان عسي على جاهليته فكانوا أهل نفاق على دين آبائهم من الشرك والتكذيب بالبعث، إلا أن الإسلام قهرهم بظهوره واجتماع قومهم عليه، فظهروا بالإسلام، واتخذوه جنة من القتل ونافقوا في السر، وكان هواهم مع يهود، لتكذيبهم النبي صلى الله عليه وسلم، وحسدهم الإسلام)[1]. فتبين أن العدد الذي استطاع المؤرخون أن يحصروه من الذين أسلموا من اليهود وحسن إسلامهم قليل. وهذا لأن فيهم الصفات والأخلاق ما سيذكره الباحث في النقطة القادمة:

خامسا: أخلاقهم.

الغدر:

اشتهر اليهود بالغدر أكثر من غيرهم، وكأنه صفتهم الخاصة لا يفارقهم. يقول سبحانه وتعالى :

﴿أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُواْ عَهۡدٗا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ١٠٠﴾[2].

قال ابن كثير رحمه الله: (وقال مالك بن الصيف حين بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكرهم ما أخذ عليهم من الميثاق، وما عهد إليهم في محمد صلى الله عليه وسلم: والله ما عهد إلينا في محمد ولا أخذ له علينا ميثاقا. فأنزل الله: ﴿أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُوا عَهْدًا نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم﴾[3]. وأضاف ابن

---

[1] ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب. ١٩٩٥. *السيرة النبوية لابن هشام*. ج. ١. ص. ٥١٣.

[2] القرآن. البقرة ٢:١٠٠.

[3] ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل. ١٩٩٩. *تفسير القرآن العظيم*. ج. ١. ص. ٣٤٥. وكذلك: الطبري، محمد بن جرير. ٢٠٠١. *جامع البيان عن تأويل آي القرآن*. ج. ٢. ص. ٣٠٨، نقله الطبري رواية عن ابن اسحاق.

كثير: (وقال الحسن البصري في قوله: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ قال: نعم، ليس في الأرض عهد يعاهدون عليه إلا نقضوه ونبذوه، يعاهدون اليوم، وينقضون غدا)[1].

موالاة الكفار والمشركين:

بسبب حقدهم وعداوتهم للمسلمين لجؤوا إلى موالاة الكفار ضد المسلمين. القرآن ونبههم على هذا الفعل بما أنهم من أهل الكتاب، وكان حقا عليهم موالاة المسلمين من غيرهم. يقول سبحانه وتعالى: ﴿تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿٨٠﴾﴾[2]. قال الإمام الطبري: (قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره : ﴿ترى﴾، يا محمد، كثيرًا من بني إسرائيل ﴿يتولون الذين كفروا﴾، يقول: يتولون المشركين من عَبَدة الأوثان، ويعادون أولياء الله ورسله ﴿لبئس ما قدمت لهم أنفسهم﴾، يقول تعالى ذكره: أُقسم: لبئس الشيء الذي قدمت لهم أنفسهم أمامهم إلى معادهم في الآخرة ﴿أنْ سخط الله عليهم﴾، يقول: قدّمت لهم أنفسهم سخط الله عليهم بما فعلوا).[3]

العنصرية الشديدة:

اليهود يؤمنون أنهم شعب الله المختار وأن الله فضلهم على العالمين. وهناك آيات تؤكد على ذلك ولكن بتتبع الآيات القرآنية في شأنهم التفضيل ليس على سبيل العنصرية وإنما لما فيهم من المؤمنون الصالحون والأنبياء. ولما تبين انتهى الإيمان فيهم انتهى كذلك التفضيل. يقول سبحانه وتعالى في تفضيلهم:﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى

[1] المرجع نفسه. ج ١، ص ٣٤٥

[2] القرآن. المائدة ٥:٨٠.

[3] الطبري، محمد بن جرير. ٢٠٠١. *جامع البيان عن تأويل آي القرآن*. ج. ٨. ص. ٥٩٢

ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾﴾[1]. والمنهج القرآني في تفضيل الناس واضح في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴿١٣﴾﴾[2].

الكفر والشرك:

نتعجب عندما نقرأ في القرآن أن الله سبحانه وتعالى وصف اليهود عامة بأنهم أشركوا بالله سبحانه وتعالى مع ما أعطاهم من الأفضلية ورفعهم عن باقي الأمم والشعوب. يقول الله سبحانه وتعالى: قَالَ تَعَالَى: ﴿ضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيۡنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبۡلٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبۡلٖ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَسۡكَنَةُۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴿١١٢﴾﴾[3].

ويتعجب الباحث كيف أن هذه الصفات باقية منذ أسلافهم إلى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم كأن هناك وصية فيما بينهم على الحرص عليها. يقول سبحانه وتعالى في شأن يهود المدينة: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْۛ سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ

[1] القرآن. البقرة ٢:٤٧.

[2] القرآن. الحجرات ٤٩:١٣.

[3] القرآن. ال عمران ٣:١١٢

سَمَّٰعُونَ لِقَوۡمٍ ءَاخَرِينَ لَمۡ يَأۡتُوكَۖ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ مِنۢ بَعۡدِ مَوَاضِعِهِۦۖ يَقُولُونَ إِنۡ أُوتِيتُمۡ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمۡ تُؤۡتَوۡهُ فَٱحۡذَرُواْۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتۡنَتَهُۥ فَلَن تَمۡلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمۡۚ لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾[1].

يقول ابن كثير رحمه الله: (نزلت هذه الآيات الكريمات في المسارعين في الكفر، الخارجين عن طاعة الله ورسوله، المقدمين آراءهم وأهواءهم على شرائع الله عز وجل ﴿من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم﴾ أي: أظهروا الإيمان بألسنتهم ، وقلوبهم خراب خاوية منه، وهؤلاء هم المنافقون. ﴿ومن الذين هادوا) أعداء الإسلام وأهله. وهؤلاء كلهم ﴿سماعون للكذب﴾ أي: يستجيبون له، منفعلون عنه ﴿سماعون لقوم آخرين لم يأتوك﴾ أي: يستجيبون لأقوام آخرين لا يأتون مجلسك يا محمد. وقيل: المراد أنهم يتسمعون الكلام، وينهونه إلى أقوام آخرين ممن لا يحضر عندك، من أعدائك ﴿يحرفون الكلم من بعد مواضعه﴾ أي: يتأولونه على غير تأويله، ويبدلونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون (يقولون إن أوتيتم هذا فخذوه وإن لم تؤتوه فاحذروا﴾.[2]

هذا وغيرها من الصفات نذكرها على سبيل الإجمال: يسعون الفساد في الأرض، سوء الأدب مع الله، عداوتهم للملائكة خاصة جبريل عليه السلام، الجبن وإيثار الحياة على الموت، العداء للإسلام والمسلمين، وغيرها.

الفرع الثاني: الأوس والخزرج (الأنصار).

---

[1] القرآن. المائدة ٤١:٤.

[2] ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل. ١٩٩٩. *تفسير القرآن العظيم*. دار الطيبة للنشر والتوزيع. ط. الثانية. ج. ٣. ص. ١١٣.

أولا: أصلهم.

الأوس والخزرج قبيلتان ترجع أصلهما إلى اليمن. (ويرجع نسبهما إلى حارثة بن ثعلبة بن عمرو مزيقياء بن عامر بن حارثة بن ثعلبة بن امرىء القيس ابن مازن من قبيلة الأزد القحطانية اليمنية)[١] . ولقبوا ببني قيلة نسبة إلى أمهم قيلة بنت الأرقم بن عمرو بن جفنة من غساسنة الشام، والأنصار لقبهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة، وبني ماء السماء؛ لأن جدهم عامراً والد عمرو كان يلقب بذلك[٢]. واشتهروا بأسماء يمانية في يثرب مثل: حذيفة بن اليمان. واشتهروا أيضا باسم بني قيلة نسبة إلى أمهم قيلة بنت عمرو بن جفنة. ينقسم الأوس والخزرج إلى بطون كثيرة منها بنو النجار، وهم أدنى أخوال عبد المطلب بن هاشم إليه. ومن الخزرج بنو مالك بن عدي بن غنم بن عدي بن النجار، ومنهم بنو معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار، بنو عبيد بن ثعلبة، بنو سواد بن غنم، وغيرهم كثير. وأما الأوس فمنهم بنو عبد الأشهل، وبنو زعوراء، وبنو حارثة، وبنو ظفر وبنو خطمة، وبنو جحجيا، وبنو واقف[٣] . وأما سبب هجرتهم إلى يثرب ذكر المؤرخون أنها كانت بسبب حادثة سيل العرم وخراب بلاد اليمن. (لما كان سيل العرم خرجت الأزد من اليمن مع رؤسائهم إلى تهامة، ثم هاجروا إلى النواحي الشمالية منها، ونزل الأوس والخزرج بضواحي المدينة)[٤] .

ثانيا: أحوالهم.

---

[١] أبو زهري، سامي حمدان. ٢٠٠٤. *يهود المدينة في العهد النبوي أوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية والثقافية*. ص. ١٦.
وكذلك: غالب إبراهيم شريم. ٢٠٠٧. *الشعر في قبيلتي الأوس والخزرج في الجاهلية وصدر الإسلام دراسة موضوعية وفنية*، (رسالة دكتوراه). كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية. ص. ٢٢

[٢] إرجع إلى أبو زهري، سامي حمدان. ٢٠٠٤. *يهود المدينة في العهد النبوي أوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية والثقافية*. ص. ١٦.

[٣] ارجع إلى : عبد الله عبد العزيز بن إدريس. ١٩٨٢. *مجتمع المدينة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم*. ص. ٥٥-٥٦.
وكذلك أبو زهري، سامي حمدان. ٢٠٠٤. *يهود المدينة في العهد النبوي أوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية والثقافية*. ص. ١٦.

[٤] محمد أحمد جاد المولى بك وآخرون. ١٩٤٢. *أيام العرب في الجاهلية*. أيام العرب في الجاهلية. دار إحياء الكتب العربية. ط. الأولى. ص. ٦٢.

الأوس والخزرج أصحاب خبرة في مجال الزراعة واختاروا يثرب لأنها أرض خصبة ذات النخيل. واليهود قبلوهم لجوارهم لأنهم عملوا على التكامل الإقتصادي في يثرب في مجال الزراعة وتربية المواشي كما أن الصناعة والتجارة علي أيدي اليهود. سالموا اليهود في بادئ الأمر وطلبوا من اليهود عقد فيما بينهم جوارا وحلفا فأجابهم بذلك اليهود إلى أن شعر اليهود بقوتهم قطعوا العقد واستعان الأوس والخزرج ببني عمومتهم في الشام لمحاربة اليهود كما أشار الباحث إليه سابقا[1].

ثالثا: معتقداتهم.

قبل الإسلام:

لم يعتنق الأوس والخزرج اليهودية ولو أنهم سكنوا بجوارهم. وحسب ما أشار إليه الدراسات السابقة أنهم كانوا على الشرك قبل الإسلام[2].

بعد الإسلام:

انقسم الأوس والخزرج إلى ثلاث طوائف بعد هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم المسلمون، والمنافقون سيتحدث عنهم الباحث في نقطة خاصة عنهم. أما المسلمون فلقبوا بالأنصار لمناصرتهم صلى الله عليه وسلم، أسلموا وحسن إسلامهم وخدمة للرسول صلى الله عليه وسلم. فقد ذكر الدراسات السابقة أن هناك ميزة تفردت به الأنصار عن غيرهم منها اتجاههم لطلب العلم وحرصهم على التفقه في الدين. وكذلك اهتم كثير منهم بدراسة القرآن وجمعه، وقد اشتهر من بينهم عرفوا بالقراء. كما أن شعراءهم وخطبائهم خير منافح عن الرسول صلى الله عليه وسلم منهم عبد الله بن رواحة الأنصاري[3] رضي الله عنه[4]،.

---

[1] ارجع إلى : عبد الله عبد العزيز بن إدريس. ١٩٨٢. *مجتمع المدينة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم*. ص. ٥٧-٥٨.

[2] الغضبان، منير محمد. ١٩٩٠. *المنهج الحركي للسيرة النبوية*. الأردن: مكتبة المنار. ط. السادسة. ج. ٢. ص. ٢٤٨.

[3] العسقلاني، أبو الفضل ابن حجر. ١٤١٥. *الاصابة في تمييز الصحابة*. بيروت: دار الكتب العلمية. ط. الأولى. ج. ٤. ص. ٧٢.

[4] ارجع إلى : عبد الله عبد العزيز بن إدريس. ١٩٨٢. *مجتمع المدينة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم*. ص. ٧٠-٧١.

رابعا: أخلاقهم.

الحديث عن الأنصار لا ينتهي وهذا لأنهم أنصار الله ورسوله ولا نبالغ إن قلنا كل فرد منهم لهم الفضل على الإسلام. ولندع الحديث عن أخلاقهم لله عز وجل في كتابه في وصفهم: **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٩﴾[1]. وصفهم الله سبحانه وتعالى بالذين تبوؤا الدار والإيمان كأنهم في أشد منزلة الإيمان كأن الإيمان دخلت نفوسهم ولا يفارقونهم، ثم ذكر صفة الإيثار ولو كان بهم خصاصة الذي هو من أعلى درجات الأخوة في الإسلام أو ما يشير إلى أن الدنيا عندهم لا تساوي شيئا مقابل الله ورسوله. يقول ابن كثير رحمه الله: (ثم قال تعالى مادحا للأنصار ، ومبينا فضلهم، وشرفهم، وكرمهم، وعدم حسدهم، وإيثارهم مع الحاجة، فقال: ﴿والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم﴾ أي: سكنوا دار الهجرة من قبل المهاجرين وآمنوا قبل كثير منهم)[2].

وكانوا حريصين على خدمة الرسول والتودد إليه. (وكانوا يتحببون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهدايا رجالهم ونسائهم، وكانت أم سليم إمرة من الأنصار، تتأسف على ذلك وما كان لها شيء، فجاءت بإبنها أنس بن مالك يخدم الرسول صلى الله عليه وسلم)[3].

الفرع الثالث: المنافقون.

أولا: أصلهم.

---

[1] القرآن. الحشر :٥٩:٩.

[2] ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل. ١٩٩٩. *تفسير القرآن العظيم*. دار الطيبة للنشر والتوزيع. ط. الثانية. ج. ٨. ص. ٦٨.

[3] عبد الله عبد العزيز بن إدريس. ١٩٨٢. *مجتمع المدينة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم*. ص. ٦٧. ارجع إلى: العسقلاني، أبو الفضل ابن حجر. ١٤١٥. *الاصابة في تمييز الصحابة*. ج. ١. ص. ٢٧٦.

أصلهم من الأوس والخزرج وعلى رأسهم عبد الله بن أبي بن سلول الذي كان سينتصب ملكا على يثرب. ومصطلح النفاق لغة : (إظهار الإيمان باللسان، وكتمان الكفر بالقلب)[1].

وتشير الدراسات السابقة أنها مصطلح إسلامي لم تعرفه العرب كما هو معناه في الإسلام، (ورد لفظ النفاق في القرآن الكريم ليدل على فئة اتصفت بمجموعة من الصفات بينها القرآن في مواضع عديدة من الآيات والسور، وهذه الفئة بهذه الصفات لم تكن موجودة قبل الإسلام، فمصطلح النفاق هو مصطلح إسلامي لم تعرفه العرب بالمعنى المخصوص به)[2]. وتشير الدراسات السابقة ظهورهم كان بعد الانتصار الحاسم في بدر. يقول منير الغضبان: (وعند دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وإلى غزوة بدر لم يكن النفاق قد نجم بعد. فلقد كان معسكر الشرك واضحا بزعامة عبد الله بن أبي نفسه، والذي كانت الجرأة تصل به أن يطالب محمدا صلى الله عليه وسلم بالكف عن الدعوة إلى الله. إن معسكر المنافقين لم يبرز حتى بدر، ووجود أفراد محددين لا يصل خطره إلى أن يطلق عليه اسم معسكر أو تجمع، إنما برز بعد الانتصار الحاسم في بدر)[3].

وزعيمهم عبد الله بن أبي بن سلول الذي كان أراد أن ينصبوه ملكا على يثرب قبل الهجرة، وتسيطر عليه هواه وبقي في نفاقه إلى أن مات. قال منير الغضبان: (أما أكثر هؤلاء فقد تحولوا إلى منافقين يأتمرون بأمر عبد الله بن أبي الذي كان الخزرج يعقدون له الخرز ليتوجوه. وكانت عقدة

---

[1] الجرجاني، علي بن محمد . ١٩٨٣. *كتاب التعريفات*. بيروت: دار الكتب العلمية. ط. الأولى. ج. ١، ص. ٢٤٥.

[2] اشتيوي، أنس محمود مصطفى. ٢٠١٦. *النفاق والمنافقون دراسة في القرآن والسنة*. (رسالة ماجستير). كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية نابلس فلسطين. ص. ١٢. وكذلك: المنجد، محمد صالح. ٢٠٠٩. *النفاق*. السعودية: مجموعة زاد للنشر. ط. الأولى. ص. ٧.

[3] الغضبان، منير محمد. ١٩٩٠. *المنهج الحركي للسيرة النبوية*. ج. ٢. ص. ٢٤٨.

الزعامة والمنصب تأكل قلبه، فلم يعد قادرا على أن يواجه الرسول بعداوة واضحة. لأن من حوله سوف ينفضون عنه لضعفهم أمام قوة المسلمين، و لم تطاوعه نفسه أن يسلم نفسه لله)[1].

ثالثا: معتقداهم.

كما أشار الباحث سابقا أنهم كانوا على الوثنية ثم تظاهروا بالإسلام وأبطنوا الكفر، أي أنهم لم يسلموا على حقيقتهم. يقول صالح المنجد: (فالمقصود بالنفاق الأصلي، النفاق الذي لم يسبق بإسلام صحيح، فقد تدفع المصلحة الدنيوية بعض الناس، إلى التظاهر بالانتساب للإسلام وهو غير مؤمن به في قلبه، فيكون منافقاً منذ اللحظة الأولى لإعلان إسلامه، ثم يستمر على هذا النفاق)[2].

أما هل يعتبرون خارج عن الملة فأشار العلماء أنهم كفار خالدا في النار وأنهم في الدرك الأسفل من النار. (وهذا هو النفاق الذي كان على عهد رسول الله ونزل القرآن بذم أهله وتكفيرهم، وأخبر أن أهله في الدرك الأسفل من النار)[3]. يقول الله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾﴾[4]. يقول ابن كثير: (أخبر تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ أي: يوم القيامة، جزاء على كفرهم الغليظ)[5].

المنافقون على عهد رسول الله لا شك أنهم من النفاق العقائدي وجزائهم خالدا مخلدا في النار جزاء لما فعلوه في الدنيا ولهذا الله سبحانه وتعالى منع أن يصلي عليه نبيه صلى الله عليه وسلم وصرح المولى عز وجل بأنهم كفروا به سبحانه فلا تجري عليهم أحكام المسلمين، حتى منعهم سبحانه من الاستغفار لهم. يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟

---

[1] المرجع نفسه. ج. ٢. ص. ٢٤٨.

[2] المنجد، محمد صالح. ٢٠٠٩. *النفاق*. ص. ١٠.

[3] المرجع نفسه. ص. ٨.

[4] القرآن. النساء ٤:١٤٥.

[5] ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل. ١٩٩٩. *تفسير القرآن العظيم*. ج. ٢. ص. ٤٤١.

بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾﴾[1]. يقول ابن كثير: (أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم أن يبرأ من المنافقين، وألا يصلي على أحد منهم إذا مات، وألا يقوم على قبره ليستغفر له أو يدعو له؛ لأنهم كفروا بالله ورسوله، وماتوا عليه. وهذا حكم عام في كل من عرف نفاقه، وإن كان سبب نزول الآية في عبد الله بن أبي ابن سلول رأس المنافقين)[2].

رابعا: أخلاقهم.

المنافقون ورثوا أغلب أخلاق السوء التي يمكن أن يتخيلها البشرية وأسوأ من الكفار أنفسهم في بعض الأحيان، كأنها مرض نفسي عاشوا عليها وماتوا عليها. والله سبحانه وتعالى قد فضحهم في القرآن الكريم ورد عليهم إسلامهم. نذكر فيها بشيء من التفصيل كالآتي:

١. في قلوبهم مرض. يقول سبحانه وتعالى: ﴿ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾﴾[3]. نقل ابن كثير (عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم (في قلوبهم مرض) قال: هذا مرض في الدين، وليس مرضا في الأجساد، وهم المنافقون. والمرض: الشك الذي دخلهم في الإسلام (فزادهم الله مرضا) قال: زادهم رجسا)[4].

---

[1] القرآن. التوبة ٩:٨٤.

[2] ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل. ١٩٩٩. *تفسير القرآن العظيم*. ج. ٢. ص. ١٩٢-١٩٣.

[3] القرآن. البقرة ٢:١٠.

[4] ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل. ١٩٩٩. *تفسير القرآن العظيم*. ج. ١. ص. ١٧٩.

٢. الكبر. يقول سبحانه وتعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْا۟ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾ ﴾[1] قال القرطبي في تفسير الآية: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ﴾ لما نزل القرآن بصفتهم مشى إليهم عشائرهم وقالوا: افتضحتم بالنفاق فتوبوا إلى رسول الله من النفاق، واطلبوا أن يستغفر لكم. فلووا رءوسهم أي حركوها استهزاء وإباء، قاله ابن عباس)[2].

٣. الاستهزاء. يقول سبحانه وتعالى: ﴿ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ﴾[3]. قال ابن كثير: (وقوله تعالى: ﴿قالوا إنا معكم﴾ عن ابن عباس: أي: إنا على مثل ما أنتم عليه ﴿إنما نحن مستهزئون﴾ أي: إنما نحن نستهزئ بالقوم ونلعب بهم)[4].

٤. السفه ورمي المؤمنين بالسفه. يقول سبحانه وتعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ ﴾[5]. يقول ابن كثير رحمه الله: يقول الله تعالى: وإذا قيل للمنافقين: ﴿آمنوا كما آمن الناس﴾ أي: كإيمان الناس بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت

---

[1] القرآن. المنافقون ٦٣:٥.

[2] القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد. ١٩٦٤. *الجامع لأحكام القرآن*. القاهرة: دار الكتب المصرية. ط. الثانية. ج. ١٨. ص. ١٢٦.

[3] القرآن. البقرة ٢:١٤.

[4] ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل. ١٩٩٩. *تفسير القرآن العظيم*. ج. ١. ص. ١٨٣.

[5] القرآن. البقرة ٢:١٣.

والجنة والنار وغير ذلك، مما أخبر المؤمنين به وعنه، وأطيعوا الله ورسوله في امتثال الأوامر وترك الزواجر ﴿قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء﴾ يعنون أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، رضي الله عنهم، قاله أبو العالية والسدي في تفسيره، بسنده عن ابن عباس وابن مسعود وغير واحد من الصحابة، وبه يقول الربيع بن أنس، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغيرهم، يقولون: أنصير نحن وهؤلاء بمنزلة واحدة وعلى طريقة واحدة وهم سفهاء)[1].

وغيرها من الصفات كثيرة فذكرها إجمالا مثل موالاة الكفار، التربص بالمؤمنين، مخادعة الله والكسل في العبادات، التذبذب والتردد، التحاكم إلى الطاغوت، الإفساد بين المؤمنين، الخوف الجبن، يحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا، يعيبون العمل الصالح، الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف، كره الجهاد والتخلف عنه، التخذيل والإرجاف، البطء عن المؤمنين، الفرح بما يصيب المؤمنين من ضراء، وغيرها ذكرها صالح المنجد[2].

الفرع الرابع: المهاجرون.

أولا: أصلهم.

المهاجرون وصف لمن هاجر من مكة وهم من قريش إلى المدينة من المؤمنين الذين أسلموا مع النبي صلى الله عليه وسلم. يقول الطبري: (حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله تعالى: ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ ﴾[3] قال: هؤلاء

[1] ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل. ١٩٩٩. *تفسير القرآن العظيم*. ج. ١. ص. ١٨١-١٨٢. التخريج من نفس المرجع: قاله أبو العالية والسدي في تفسيره، بسنده عن ابن عباس وابن مسعود وغير واحد من الصحابة، وبه يقول الربيع بن أنس، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغيرهم.

[2] المنجد، محمد صالح. ٢٠٠٩. *النفاق*. ص. ١٠. ص. ١٥-٤٦.

[3] الحشر. التوبة ٨:٥٩.

المهاجرون تركوا الديار والأموال والأهلين والعشائر، خرجوا حبًا لله ولرسوله، واختاروا الإسلام على ما فيه من الشدّة، حتى لقد ذكر لنا أن الرجل كان يعصب الحجر على بطنه ليقيم به صلبه من الجوع، وكان الرجل يتخذ الحفيرة في الشتاء ماله دثار غيرها)[1].

ثالثا: معتقداهم.

المهاجرون قوم ناصروا الرسول صلى الله عليه وسلم وهم من الأوائل الذين أسلموا وتحملوا المشقات والصعوبات في سبيل الله سبحانه وتعالى. هم الأكمل إيمانا بشهادة من القرآن نفسه أن رضي الله عنهم. قال الله تعالى:﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٠٠ ﴾[2].

رابعا: أخلاقهم.

يتخلقون بأخلاق حميدة ذكرها القرآن الكريم في شأنهم يذكرها الباحث شيء من التفصيل:

١. الإخلاص: يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿لِلۡفُقَرَآءِ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأَمۡوَٰلِهِمۡ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ٨ ﴾[3]. ذكر الله سبحانه وتعالى أنهم يبتغون فضلا من الله سبحانه وتعالى وهذا الكشف عن حقيقة نواياهم من رب العالمين.

---

[1] الطبري، محمد بن جرير. ٢٠٠١. *جامع البيان عن تأويل آي القرآن*. ج. ٢٢. ص. ٥٢٣.

[2] القرآن. التوبة ٩:١٠٠.

[3] القرآن. الحشر ٤٩:٨.

٢. الصبر: يقول سبحانه وتعالى: **قَالَ تَعَالَى:** ﴿ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗۖ وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٤١ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٤٢ ﴾[1]. فذكر من صفات هؤلاء المهاجرون بالذين صبروا.

٣. الصدق: يقول سبحانه وتعالى: ﴿ لِلۡفُقَرَآءِ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأَمۡوَٰلِهِمۡ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ٨ ﴾[2]. شهد الله عليهم بالإشارة أنهم هم الصادقون.

٤. نصر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم في الآية السابقة في قوله تعالى: ﴿وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾[3].

وغيرها من الصفات والمواصفات كثيرة ذكرها القرآن ليس المجال هنا إلا أن يذكرها الباحث على سبيل الإجمال منها الفائزون، السابقون، المؤمنون حقا، الاتباع للرسول صلى الله عليه وسلم، الجهاد والتضحية، وغيرها جمعها الصلابي في كتابه[4].

خامسا: أحوالهم.

---

[1] القرآن. النحل ٤٢،٤١:١٦.

[2] القرآن. الحشر ٨:٤٩.

[3] المرجع نفسه ٨:٤٩.

[4] الصلابي، علي محمد.٢٠٠٨. *السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث*. بيروت. دار المعرفة. ط. السابعة. ص. ٢٩٤.

المهاجرون كما أشرت سابقا هاجروا من مكة تاركا ديارهم وأموالهم في سبيل الله. ولهذا وصفهم الله عز وجل بالفقراء الذين لا يملكون الديار والأموال. آخاهم الرسول صلى الله عليه وسلم فيما بينهم وفيما بينهم وبين الأنصار.

المؤاخاة فيما بينهم فقد أشار إليه الدراسات السابقة (وآخى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بين ذاته الشريفة وبين علي بن أبي طالب ابن عمه الذي جاءه حافي القدمين بعد تأدية أماناته إلى الكفار في مكة. كما آخى عليه الصلاة والسلام بين حمزة بن عبد المطلب عمه، وبين زيد بن حارثة مولاه، دون تمييز لنسبهما بل كان الدافع هو التقوى)[1].

والمؤاخاة بين المهاجرون والأنصار: (ثم آخى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بين المهاجرين والأنصار في دار أنس بن مالك وكانوا تسعين رجلا نصفهم من المهاجرين، ونصفهم من الأنصار، آخى بينهم على المواساة ويتوارثون بعد الموت دون ذوي الأرحام،إلى حين وقعة بدر، فلما أنزل الله عز وجل (وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض)[2] رد التوارث دون عقد الأخوة)[3].

وحالهم الفقر لم يدعهم يتكلون على إخوانهم من الأنصار بل كان المهاجرون أصحاب التجارة. (حدثنا إسماعيل بن عبد الله قال حدثني إبراهيم بن سعد عن أبيه عن جده قال لما قدموا المدينة آخى رسول الله بين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع قال لعبد الرحمن إني أكثر الأنصار مالا فأقسم مالي نصفين ولي امرأتان فانظر أعجبهما إليك فسمها لي أطلقها فإذا انقضت عدتها فتزوجها قال بارك الله لك في أهلك ومالك أين سوقكم فدلوه على سوق بني قينقاع)[4].

الفرع الخامس: غيرهم من أتباع أديان الأخرى.

---

[1] الغضبان، منير محمد. ١٩٩٠. *المنهج الحركي للسيرة النبوية*. ج. ٢. ص. ٢١٤.

[2] القرآن. الأنفال ٨:٧٥.

[3] الغضبان، منير محمد. ١٩٩٠. *المنهج الحركي للسيرة النبوية*. ج. ٢. ص. ٢١٤-٢١٥.

[4] البخاري. محمد بن إسماعيل أبو عبد الله. ٢٠٠١. *صحيح البخاري*. ج. ٥: ٣١. رقم الحديث ٣٧٨٠.

ذكر في الدراسات السابقة أن هناك أطياف أخرى غير التي ذكر الباحث فوق لكنهم من الأقليات. وهم كالآتي:

أولا: النصارى.

أشارت الدراسات السابقة إلى وجود عناصر أخرى في المدينة منها النصارى، عرض عليهم النبي صلى الله عليه وسلم وترددوا وأسلموا في عهد أبو بكر رضي الله عنه[1]. ولكن لم تشر الأحداث أنهم كانوا على قوة أو أثر في المدينة مما جعل الكلام عنهم عزيز في كتب السير. وإنما بعض الدراسات السابقة أشارت أنهم ليسوا من سكان المدينة وإنما تجاريين يتوافدون على المدينة للتجارة. يقول عبد الله عبد العزيز: (ويبدو أن معظم أولئك النصارى لم يستقروا بصفة دائمة في المدينة، وإنما كانوا يغشونها لإنجاز بعض شؤونهم التجارية)[2].

ثانيا: المجوس.

ذكرت الدراسات السابقة: (ولا يستبعد أن يكون للمجوس وهم عبدة النار من الفرس وجود في المدينة على عهد النبي صلى الله عليه وسلم. وقد نستدل على وجودهم من حديث لعبيد الله بن عبد الله قال: جاء مجوسي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أعفى شاربه وأعفى لحيته)[3]. وكذلك الصحابي الجليل سلمان الفارسي من أهل الفرس وكان على المجوسية ثم تنصر وأسلم بعد مجيئه إلى المدينة. ولا يستبعد هناك غيره من الموالي الفرس وفدوا إلى المدينة.

ثالثا: غيرهم من أهل لسان السريانية والرومية والقبطية والحبشية.

---

[1] عبد الله عبد العزيز بن إدريس. ١٩٨٢. *مجتمع المدينة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم*. ص. ٥٣.

[2] المرجع نفسه. ص. ٥٤.

[3] المرجع نفسه. ص. ٥٤. وكذلك ارجع إلى : ابن سعد. أبو عبد الله محمد. ١٩٩٠. *الطبقات الكبرى لابن سعد*. ج ١: ٣٤٧. ذكر الألباني: حديث مرسل صحيح.

[3] المرجع نفسه. ص. ٥٤.

يقول عبد الله بن عبد العزيز: (ويذكر أن زيد بن ثابت الأنصاري النجاري ترجمان الرسول صلى الله عليه وسلم بالسريانية والفارسية والرومية والقبطية والحبشية تعلم ذلك بالمدينة من أهل هذه الألسن، ونستدل من هذا النص على أن تلك الأجناس كان لها وجود بارز في المدينة مكن أفرادها من حفظ ألسنتهم وتعليمها لمن أراد تعلمها من أهل المدينة)[1]. لا يستبعد الباحث أن ما استنبطه الباحث في الدراسات السابقة صحيح ولكن لم يكن لهم وجود بارز في المدينة وهمومهم التجارة فيتنقلون من مكان إلى مكان. ويتصور الباحث المدينة أنها كمثل البلاد المتقدمة الآن الذي يحدث في التبادل التجاري والتطور في الاقتصاد ملموس مما يفد إليها المستثمرون من الخارج.

المطلب الثاني: تعامل النبي مع هذا التنوع بين المسلمين، وبين المسلمين وغيرهم.

الفرع الأول: تعامل النبي صلى الله عليه وسلم مع هذا التنوع بين المسلمين.

مجيئ النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة كان لبناء دولة الإسلام والذي من دعامته الأساسية هي الأمة الإسلامية. والأمة الإسلامية كما أشار الباحث إليها سابقا يتكون من المهاجرين والأنصار. فالرسول صلى الله عليه وسلم آخى بين الأنصار والمهاجرين وكتب لهم ميثاقا خاصا لتوحيد المسلمين.

أولاً: المؤاخاة.

يقول إبن هشام: (قال ابن إسحاق: وآخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أصحابه من المهاجرين والأنصار)[2]. ويقول البلاذري: (ويقال إنه لم يبق من المهاجرين أحد إلا آخى بينه وبين أنصاري)[3]. وهذه الخطوة البارزة التي اتخذها الرسول صلى الله عليه وسلم أدى إلى نتائج مباركة من أهمها:

---

[1] المرجع نفسه. ص. ٥٥.

[2] ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب. *السيرة النبوية لابن هشام*. ١٩٩٥. ج. ١. ص. ٥٠٥. وكذلك ارجع إلى: البخاري. محمد بن إسماعيل أبو عبد الله. ٢٠٠١. *صحيح البخاري*. ج. ٥: ٣١. رقم الحديث ٣٧٨٠.

[3] البَلَاذُري، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود. ١٩٩٦. *جمل من أنساب الأشراف*. بيروت: دار الفكر. ج. ١. ص. ٢٧١.

١. التوحيد للأمة الإسلامية التي هي في مرحلة التأسيس والنشأة

٢. إيجاد مأوى للفقراء المهاجرين إلى أن يدبروا حالهم

٣. التعارف والتفاهم والتكافل فيما بينهم

٤. الرباط على أساس العقيدة الإسلامية ولم تعرف العرب مثل هذا الرباط من قبل. كانوا يرتبطون على أساس القبائل والأرحام

٥. زاد قوة الإسلام باجتماع الطائفتين وزاد رعب وغيظ اليهود والمشركون تجاه المسلمون

ثانياً: الوثيقة.

قال د. أكرم رضا: (الراجح أن الوثيقة في الأصل وثيقتان ثم جمع المؤرخون بينهما، إحداهما تتناول موادعة الرسول لليهود والثانية توضح التزامات المسلمين من مهاجرين وأنصار وحقوقهم وواجباتهم)[١].

ونذكر نص الوثيقة بين المؤمنين:

(هذا كتاب من محمد النبي بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم، أنهم أمّة واحدة من دون الناس. المهاجرون من قريش، وبنو عوف، وبنو الحارث بن الخزرج ، وبنو ساعدة، وبنو جشم ، وبنو النّجّار، وبنو عمرو بن عوف، وبنو النّبيت، وبنو الأوس، على ربعتهم[٢] يتعاقلون[٣] بينهم وهم يفدون عانيهم[٤] بالمعروف والقسط بين المؤمنين. وكل طائفة تفدي

---

[١] العمري، أكرم ضياء. ١٩٩٤. *السيرة النبوية الصحيحة*. السعودية: مكتبة العلوم والحكم. ط. السادسة. ج. 1. ص. ٢٧٦-٢٧٧.

[٢] ربعتهم : الحال التي جاء الإسلام وهم عليها. الغضبان، منير محمد. ١٩٩٩. *فقه السيرة النبوية*. السعودية: جامعة أم القرى. د. ط. ص. ٣٦٩.

[٣] يتعاقلون : الديات. الغضبان، منير محمد. ١٩٩٩. *فقه السيرة النبوية*. ص. ٣٦٩.

[٤] العاني : الأسير. الغضبان، منير محمد. ١٩٩٩. *فقه السيرة النبوية*. ص. ٣٦٩.

عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين. وأنّ المؤمنين لا يتركون مفرحا[1] بينهم أن يعطوه بالمعروف في فداء أو عقل. وأن لا يحالف مؤمن مولى مؤمن دونه. وأن المؤمنين المتقين أيديهم على كل من بغى منهم، أو ابتغى دسيعة[2] ظلم، أو إثما، أو عدوانا، أو فسادا بين المؤمنين، وأن أيديهم عليه جميعا، ولو كان ولد أحدهم. ولا يقتل مؤمن مؤمنا في كافر، ولا ينصر كافرا على مؤمن. وأنّ ذمّة الله واحدة يجير عليهم أدناهم، وأنّ المؤمنين بعضهم موالي بعض دون الناس. وأنه من تبعنا من يهود فإنّ له النصر والأسوة غير مظلومين ولا متناصر عليهم. وأنّ سلم المؤمنين واحدة، لا يسالم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله، إلا على سواء وعدل بينهم. وأنّ كل غازية غزت معنا يعقب بعضها بعضا. وأن المؤمنين يبيء[3] بعضهم عن بعض[4] بما نال دماءهم في سبيل الله. وأن المؤمنين المتقين على أحسن هدى وأقومه. وأنه لا يجير مشرك مالا لقريش ولا نفسا، ولا يحول دونه على مؤمن. وأنه من اعتبط[5] مؤمنا قتلا عن بيّنة فإنه قود به[6]، إلا أن يرضى ولي المقتول بالعقل وأنّ المؤمنين عليه كافّة ولا يحلّ لهم إلا قيام عليه. وأنه لا يحل لمؤمن أقرّ بما في هذه الصحيفة، وآمن بالله واليوم الآخر أن ينصر محدثا أو يؤويه، وأن من نصره، أو آواه، فإنّ عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة، ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل. وأنكم مهما اختلفتم فيه من شيء، فإنّ مردّه الى الله وإلى محمد)[7].

أهم التعليقات على الوثيقة:

---

[1] المفرح : المثقل بالدين الكثير العيال. الغضبان، منير محمد. ١٩٩٩. *فقه السيرة النبوية*. ص. ٣٦٩.

[2] الدسيعة : العظيمة زهي في الأصل ما يخرج من حلق البعير إذا راغنا، ويراد هنا ما ينال عنهم من ظلم، الحال التي جاء الإسلام وهم عليها، فدسيعة الظلم معناها شديدة الظلم. الغضبان، منير محمد. ١٩٩٩. *فقه السيرة النبوية*. ص. ٣٧٠.

[3] باء بذنبه : احتمله واعترف به والتزمه. السيد عمر. *وثيقة المدينة المنورة الدستور الانساني الأول*. جامعة الحلوان مصر. د. ط. ص. ١٣.

[4] يبيء بعضهم عن بعض. السيد عمر. *وثيقة المدينة المنورة الدستور الانساني الأول*. جامعة الحلوان مصر. ص. ١٣.

[5] اعتبط : قتله بلا جناية. السيد عمر. *وثيقة المدينة المنورة الدستور الانساني الأول*. جامعة الحلوان مصر. ص. ١٣.

[6] قود به : مقتول به. السيد عمر. *وثيقة المدينة المنورة الدستور الانساني الأول*. جامعة الحلوان مصر. ص. ١٣.

[7] عبد السلام هارون. ١٩٨٥. *تهذيب سيرة ابن هشام*. الكويت: مؤسسة الرسالة. ط الرابعة عشر. ص. ١٣٣.

أولا: في صدر الصحيفة ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم الأطراف المعنية في الصحيفة من المؤمنين.

ثانيا: هذه البنود يتعلق بتنظيم المسلمين بعضهم بعضا في تنظيم الحقوق والواجبات بين الأفراد والمجتمع كي يكون مجتمع متعاون ومتضامن بعضهم بعضا ويرفع التكافل الإجتماعي إلى أعلاه سواء في قضايا الفقر أو في قضايا الكبرى مثل التعاون على حماية المدينة من كيد الأعداء الخارجي أو الداخلي.

هذا وقد (قد صاغت الوثيقة مبدأ من المبادئ التي عمّت الدولة المسلمة الجديدة وهو: مبدأ التضامن في المسؤولية بين بطون القبائل عما يحدث من أحد أفرادها من جرائم، وأقرت ما كان معروفا في الجاهلية بين القبائل من إعطاء الديات وأخذها؛ لمعالجة حالات القتل دون الأخذ بالثأر، فألزم سكان المدينة بأن يقيموا ما كان سائدا بينهم من قبل، من قيام كل بطن من بطون القبائل التي ذكرت الوثيقة اسمها بإعطاء المعاقل، وفداء من لا يستطيع منهم أن يدفع الدية تضامنا بين الجميع)[1].

ثالثا: بين الرسول الكريم في البنود أن المسلمين بعضهم البعض أمة واحدة، وهذا هو أحد مقاصد الإسلام وهو توحيد المسلمين في كلمة واحدة، ومن هذا نفهم أن الإسلام من أسسه جمع الصف، وهذه الوثيقة سبقتها المؤاخاة بين الأنصار والمهاجرين التي لم نجدها إلا في الدين الإسلامي والمجتمع الإسلامي، فلا شك أنها ترتيب ربّاني من عند الله سبحانه وتعالى. وهذا من أهم ما يجب أن يرجع إليه المسلمون اليوم في هذه الوثيقة المباركة من توحيد المسلمين، فكثير منهم عندما يتكلمون عن الوثيقة يستخرجون منها عبقرية الرسول في وضع هذه الرسالة التي نظمت الطوائف في مكة، ولكن في التدقيق وجدنا من أول الوثيقة الرسول يهتم بالصف الداخلي أولا، والمسلمون اليوم مفترقون فرق شتى حتى يتهم بعض الناس إخوانه من المسلمين الذين ليسوا على منهجه وطريقته كأنه خارج عن

[1] أرشوم، مصطفى بن حمو. ٢٠١٤. *حقوق الإنسان في الوثائق الإسلامية*. (ورقة بحثية).كلية الشريعة والاقتصاد، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية الجزائر. ص. ١١.

الملة، ويتخذ أعداء الله الذين ثبتت لهم المعاداة للإسلام والمسلمين أصحاباً. وهذا أراه خللا وخطئا جسيما في أفكار بعض الطوائف من المسلمين الذين يدعون إلى التعصب والفرقة.

رابعا: وكذلك أشار الوثيقة إلى قضية مهمة جدا وهي الولاء والبراء في الإسلام، حيث جعلها الرسول من أسس المجتمع الإسلامي وركنه المتين، حيث أن الرسول جعل مما يقرب نصف هذه الصحيفة في تحديد الولاء بين المؤمنين بعضهم بعضا ومنها لا يجوز حتما أن ينصر كافر على مؤمن وجعلها مطلقة، أي في كل حين ووقت لا يجوز ذلك بل أنصر أخاك ظالما أو مظلوما وليس هذا من العصبية بل هي مبدأ الولاء والبراء. وليس معنى البراء كما يفهمه البعض أن يظهر العدوان على الغير ويمحو سماحة الإسلام في قبول واحترام غيرهم، ولكن لا بد من تأسيس الصف الداخلي ويجعله متينا ومتمسكا، وكذلك لا بد من تحديد موقف تجاه الآخرين الذين لا يرضون بالحق وهو الرضا بالله ربا وبالإسلام دينا، إذ كيف يأخذ الأمن والسلام منهم وهم يرفضون الحق منذ أول لحظة، واليهود قوم بهت يعرفون الرسول كما يعرفون أبنائهم لكنهم رفضوه أي رفضوا الحق عن علم ووعي، فلا بد من موقف حاد بين المسلم وبين غيره حيث لا تختلط الأوراق بين الدعوة إلى الله وبين الولاء لأعداء الله سبحانه وتعالى. وهذا ما نراه في بعض الآراء السياسية من المسلمين الذين يدعون أنفسهم دعاة إلى دين الله ولكن نراهم يوالون أعداء الله ويخضعون لهم فمن الداعي ومن المدعو اذن؟.

قال السيد عمر: (قضت الوثيقة بأنه لا يحل لمؤمن أن يتحالف مع مولى مؤمن آخر في مواجهته، ولا أن ينصر كافراً على مؤمن، لأن ذمة الله واحدة، والمؤمنون يجير عليهم أدناهم، وسلمهم واحدة، فلا يسالم مؤمن دون مؤمن إلا على سواء وعدل بينهم)[1].

[1] السيد عمر. *وثيقة المدينة المنورة الدستور الانساني الأول*. جامعة الحلوان مصر. ص. ٣٨

خامسا: كما حدد الرسول صلى الله عليه وسلم في البنود المرجعية العليا للمسلمين جميعا وهي الرسول نفسه والله سبحانه وتعالى، فبهذه المرجعية أصبحت هذه الوثيقة إسلامية ذو طابع إسلامي رجع كل شيء لله ورسوله. وهذا يرد على الطوائف الليبرالية الذين يقولون بعدم وجود الدولة الإسلامية في المصطلح الإسلامي، حيث أن ليس المهم في المصطلحات، ولكن الأهم في فهم وتطبيق المصطلحات، وهذا ما فعله الرسول صلى الله عليه وسلم وهو وضع المرجعية العليا وهي الله سبحانه وتعالى ورسوله. وبهذا يضمن المجتمع أمنه وسلامته حيث من أتقى وأخشى لله من سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم يرجع إليه في وضع الأحكام والقواعد وفي الفصل بين المتخاصمين.

وكذلك تضمنت في أواخر الصحيفة وحددت المرجعية العليا للوثيقة هي الله ورسوله مما جعل دولة الإسلام المدينة دار للإسلام والمسلمين مقرة ومعتمدة ومكتوبة.

وهكذا نرى كيفية تعامل النبي صلى الله عليه وسلم مع طائفتين كبيرتين من المؤمنين المهاجرين والأنصار.

الفرع الثاني: تعامل النبي صلى الله عليه وسلم مع اليهود.

اليهود طائفة كبيرة في المدينة يشكل ويعتبر من أصل سكان المدينة حيث أشار الباحث من قبل إلى أنهم سكنوا يثرب قبل الأوس والخزرج. وبما أنهم لم يسلموا رغم معرفتهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نبي يحتاج النبي إلى تأمين النبي صلى الله عليه وسلم المدينة ورسم العلاقات بين أطياف الشعب. يقول سبحانه وتعالى في شأن معرفة اليهود وتيقنهم بأن محمد الذي جائهم في المدينة هو النبي المنتظر،

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ وَإِنَّ فَرِيقٗا

مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ ﴾[1]. قال الطبري: (أي يعرفون نبوته وصدق رسالته، والضمير عائد على محمد صلى الله عليه وسلم ، قاله مجاهد وقتادة وغيرهما)[2].

هناك عدة طرق تعامل النبي صلى الله عليه وسلم معهم يذكرها الباحث كالآتي:

أولا: كتب لهم ميثاق خاص باعتبارهم مواطن المدينة يبين فيها موقف الإسلام منهم وحقوقهم في المدينة وما لهم وما عليهم من الواجبات. ذكر الدراسات السابقة أن الرسول صلى الله عليه وسلم كتب لهم ميثاق خاص تتعلق باليهود. وهو الجزء الثاني من الصحيفة المدينة كما تناولته كتب السير. ولكن ذكرت الدراسات السابقة أن الميثاق مع اليهود جاءت أولا قبل الميثاق مع بعضهم البعض. يقول أكرم ضياء: (الراجح أن الوثيقة في الأصل وثيقتان ثم جمع المؤرخون بينهما، إحداهما تتناول موادعة الرسول صلى الله عليه وسلم لليهود والثانية توضح إلتزامات المسلمين من مهاجرين وأنصار وحقوقهم وواجباتهم. ويترجح عندي أن وثيقة مواعدة اليهود كتبت قبل موقعة بدر الكبرى أما الوثيقة بين المهاجرين والأنصار فكتبت بعد بدر، فقد صرحت المصادر بأن موادعة اليهود تمت أول قدوم للرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة)[3].

وهناك خلاف في الوثيقة مع اليهود لأنه يشير بعض الباحثين أنه لم يثبت في الأحاديث الصحيحة والروايات لم تثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم[4]. والمشكلة تكمن في الإسناد التي أوردها ابن اسحاق وهي أقدم نص للوثيقة. يقول أكرم ضياء: (إن أقدم من أورد نص الوثيقة كاملاً هو محمد بن إسحق (ت ١٥١ هـ) لكنه أوردها دون إسناد. وقد صرح بنقلها عنه كل من ابن سيد الناس

---

[1] القرآن. البقرة ٢:١٤٦.

[2] الطبري، محمد بن جرير. ٢٠٠١. *جامع البيان عن تأويل آي القرآن*. ج. ٢. ص. ١٦٢.

[3] العمري، أكرم ضياء. ١٩٩٤. *السيرة النبوية الصحيحة*. ج. ١. ص. ٢٧٦.

[4] المرجع نفسه. ج. ١. ص. ٢٧٢.

وابن كثير فوردت عندهما دون إسناد أيضاً، وقد ذكر البيهقي إسناد ابن إسحق للوثيقة التي تحدد العلاقات بين المهاجرين والأنصار دون البنود التي تتعلق باليهود لذلك لا يمكن الجزم بأنه أخذها من نفس هذه الطريق أيضاً)[1].

ومن خلال البحث والتدقيق من الباحثين تبين أن هناك أسانيد لهذه الوثيقة منها (وقد ذكر ابن سيد الناس أن ابن أبي خثيمة أورد الكتاب (الوثيقة) فأسنده بهذا الإسناد (حدثنا أحمد بن خباب أبو الوليد حدثنا عيسى بن يوسف حدثنا بن عبد الله بن عمرو المزني عن أبيه عن جده. أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب كتاباً بين المهاجرين والأنصار فذكر بنحوه – أي بنحو الكتاب الذي أورده ابن إسحق. ولكن يبدو أن الوثيقة وردت في القسم المفقود من تاريخ ابن أبي خثيمة إذ لا وجود لها فيما وصل إلينا منه. كذلك وردت الوثيقة في كتاب الأموال لأبي عبيد القاسم بن سلام بإسناد آخر، كما وردت الوثيقة في كتاب الأموال لابن زنجويه من طريق الزهري أيضاً)[2].

ورجح أكرم ضياء أن المصادر التي جاء منها هذه البنود صحيحة وأثبتت في المرويات وإن كانت لا تبلغ درجات الصحة. يقول: (وبذلك يتبين أن الحكم بوضع الوثيقة مجازفة، ولكن الوثيقة لا ترقى بمجموعها إلى مرتبة الأحاديث الصحيحة، فابن إسحق في سيرته رواها دون إسناد مما يجعل روايته ضعيفة وأوردها البيهقي من طريق ابن إسحق أيضاً بإسناد فيه سعد بن المنذر وهو مقبول فقط، وابن أبي خيثمة أوردها من طريق كثير بن عبد الله بن عمرو المزني وهو يروي الموضوعات وأبو عبيد القاسم بن سلام رواها بإسناد منقطع يقف عند الزهري وهو من صغار التابعين فلا يحتج بمراسيله. ولكن نصوصاً من الوثيقة وردت في كتب الأحاديث بأسانيد متصلة، وبعضها أوردها البخاري ومسلم، فهذه النصوص هي أحاديث صحيحة، وقد احتج بها الفقهاء وبنوا عليها أحكامهم. كما أن

[1] العمري، أكرم ضياء. ١٩٩٤. *السيرة النبوية الصحيحة*. ج. ١. ص. ٢٧٢-٢٧٣.

[2] المرجع نفسه. ج. ١. ص. ٢٧٣.

بعضها ورد في مسند أحمد وسنن أبي داوود وابن ماجة والترمذي. وهذه النصوص جاءت من طرق مستقلة عن الطرق التي وردت منها الوثيقة)[1]. وبهذا يتبين أن الوثيقة مع اليهود وإن لم تبلغ درجة الصحة فإنها صالحة للدراسة عنها والاستئناس بها خصوصا في علم السير والتاريخ. ولهذا أوردها المؤرخون في كتبهم، والادعاء أنها لم تثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم لم تأت إلا من الباحثين المتأخرين. أما كتب السير الأم أثبتتها يذكر الباحث غلى سبيل المثال منها : الطبري[2]، ابن كثير[3]، البلاذري[4]، ابن القيم[5]، وغيرهم.

نص الوثيقة:

(وأنّ اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين. وأنّ يهود بني عوف، وأنّ ليهود بني النّجّار، وأنّ ليهود بني الحارث، وأنّ ليهود بني ساعدة، وأنّ ليهود بني جشم، وأنّ ليهود بني الأوس، وأنّ ليهود بني ثعلبة وجفنة، وأنّ لبني الشّطيبة أمّة مع المؤمنين، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم، مواليهم وأنفسهم إلا من ظلم وأثم، فإنه لا يوتغ[6] إلا نفسه وأهل بيته. وأنه لا يخرج منهم أحد إلا بإذن محمد. وأنه لا ينحجز على ثأر جرح، وأنه من فتك فبنفسه وأهل بيته إلا من ظلم وأنّ الله على أبرّ هذا. وأنّ على اليهود نفقتهم، وعلى المسلمين نفقتهم، وأنّ بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة، وأنّ بينهم النصح والنصيحة والبرّ دون الإثم. وأنه لا يأثم امرء بحليفه، وأنّ النصر للمظلوم. وأنّ اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين. وأنّ يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة. وأنّ الجار كالنفس

---

[1] المرجع نفسه. ج. ١. ص. ٢٧٥.

[2] الطبري، محمد بن جرير. ٢٠٠١. *جامع البيان عن تأويل آي القرآن*. ج. ٢. ص. ٤٧٩.

[3] ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر. ١٩٨٦. *البداية والنهاية*. دار الفكر. ج. ٣. ص. ٢٥٥.

[4] البَلَاذُري، أحمد بن يحيى. ١٩٩٦. *جمل من أنساب الأشراف*. بيروت: دار الفكر. ج. ١. ص. ٢٨٦.

[5] ابن القيم الجوزية، محمد بن أبي بكر. ١٩٩٤. *زاد المعاد في هدي خير العباد*. بيروت: مؤسسة الرسالة. ط. السابعة والعشرون. ج. ٣. ص. ٥٨.

[6] يوتغ : يهلك. الغضبان، منير محمد. ١٩٩٩. *فقه السيرة النبوية*. ص. ٣٧١.

غير مضارّ ولا آثم. وأنه لا تجار حرمة إلا بإذن أهلها. وأنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث، أو اشتجار يخاف فساده، فإنّ مردّه إلى الله وإلى محمد رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وأنّ الله على أتقى ما في هذه الصحيفة وأبرّه. وأنه لا تجار قريش ولا من نصرها. وأنّ بينهم النصر على من دهم يثرب. وإذا دعوا إلى صلح يصالحونه ويلبسونه فإنهم يصالحونه ويلبسونه، وأنهم إذا دعوا إلى مثل ذلك، فإنه لهم على المؤمنين إلا من حارب في الدين. على كل أناس حصّتهم من جانبهم الذي قبلهم. وأنّ يهود الأوس مواليهم وأنفسهم على مثل ما لأهل هذه الصحيفة مع البّر المحض من أهل هذه الصحيفة، وأنّ البرّ دون الإثم لا يكسب كاسب إلا على نفسه، وأنّ الله على أصدق ما في هذه الصحيفة وأبرّه. وأنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم أو آثم، وأنه من خرج آمن ومن قعد آمن بالمدينة، إلا من ظلم وأثم، وأنّ الله جار لمن برّ واتّقى، ومحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم)[1].

شرح البنود المتعلقة باليهود:

١. الدين الإسلامي دين سلام لا يفرض على غيره الإيمان بل يراعي المعتقدات. ولهذا كتب الرسول صلى الله عليه وسلم هذه الصحيفة لينشر الأمان والسلام بين أطياف الشعب. وهكذا الحكم الإسلامي عندما يحكم يعطي مساحة لأصحاب المعتقدات أن يعتقدوا دينهم.

٢. البند الأول والثاني يذكر الرسول أطياف من اليهود وجمعهم في المجتمع المدني ويصطلح عليهم بمصطلح الأمة أي لهم حقوقهم كأي طائفة من الشعب المدينة المنورة.

٣. المناصرة فيما الشعب المدينة على عدوهم الخارجي وألا يعتدي أحد على غيره.

---

[1] ابن هشام، عبد الملك بن هشام. ١٩٥٥. *السيرة النبوية لابن هشام*، ج. ٢. ص. ٥٠١. وكذلك ارجع إلى: العمري، أكرم ضياء. ١٩٩٤. *السيرة النبوية الصحيحة*. ج. ١. ص. ٢٨٤-٢٨٥، وكذلك: الغضبان، منير محمد. ١٩٩٩. *فقه السيرة النبوية*. ص. ٣٧١. وكذلك: الديسي، محمد بن مصطفى. ٢٠١٠. السيرة النبوية بين الآثار المروية والآيات القرآنية، دكتوراه. القاهرة: جامعة عين شمس. ص. ٤١٥

٤. الرسول صلى الله عليه وسلم الحاكم والقاضي للدولة وأي شيء يتعلق بالخلاف فمرجعه والفاصل فيه الرسول صلى الله عليه وسلم.

٥. أعطى الرسول صلى الله عليه وسلم الأمان لجميع من يسكن في المدينة من اليهود وغيرهم.

ثانيا: دعاهم الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام.

ذكر في الأحاديث أن الرسول صلى الله عليه وسلم دعا اليهود خاصة إلى الإسلام على سبيل المثال: (ويقال إنه لم يبق من المهاجرين أحد إلا آخى بينه وبين أنصاري).[١] الرسول صلى الله عليه وسلم دعاهم إلى الإسلام صراحة وفي بيت المدراس (البيت الذي يدرس فيه القرآن وكذلك مدارس اليهود)[٢] التي في عقر دار اليهود.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾[٣]. وإن كان هذه الآية يشمل اليهود والنصارى ومن جرى مجراهم كما أشار إليه ابن كثير[٤] ولكن لم يكن هناك طائفة بارزة من النصارى في المدينة مما يعمل هذه الآية لليهود.

أما الوسائل التي دعاهم بها الرسول صلى الله عليه وسلم فمتعددة وكلها تشير إلى أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان حريصا في إيمانهم وإرجاعهم إلى الحق. أذكرها على سبيل المثال:

---

[١] البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله. ٢٠٠١. *صحيح البخاري*. ج. ٩: ٢. رقم الحديث ٦٩٤٤.

[٢] ابن منظور الأنصاري، حمد بن مكرم بن على. ١٩٩٤. *لسان العرب*. بيروت: دار صادر. ط. الثالثة. ج. ٦. ص. ٨٠.

[٣] القرآن. آل عمران ٣:٦٤.

[٤] ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل. ١٩٩٩. *تفسير القرآن العظيم*. ج. ٢. ص. ٥٥.

أولا: العفو والصفح ما يلاقيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنون منهم بأمر من الله سبحانه وتعالى، يقول سبحانه:﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾﴾[1]. يقول ابن كثير: (يحذر تعالى عباده المؤمنين عن سلوك طرائق الكفار من أهل الكتاب ، ويعلمهم بعداوتهم لهم في الباطن والظاهر وما هم مشتملون عليه من الحسد للمؤمنين، مع علمهم بفضلهم وفضل نبيهم. ويأمر عباده المؤمنين بالصفح والعفو والاحتمال، حتى يأتي أمر الله من النصر والفتح)[2]. وعن أسباب نزول الآية قال ابن كثير: (قال محمد بن إسحاق: حدثني محمد بن أبي محمد، عن سعيد بن جبير، أو عكرمة، عن ابن عباس، قال: كان حيي بن أخطب وأبو ياسر بن أخطب من أشد يهود للعرب حسدا، إذ خصهم الله برسوله صلى الله عليه وسلم، وكانا جاهدين في رد الناس عن الإسلام ما استطاعا، فأنزل الله فيهما: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم ﴾[3].

ذكر في كتب السير أنه خرج رسول الله في جنازة، فلما وضع الميت في قبره قام اليهودي فقال: يا محمد ألا تقضيني تمري؟ فو الله ما أعلمكم يا بني عبد المطلب إلا تماطلون الناس بحقوقهم فهّم عمر رضي الله عنه بضرب اليهودي، فقال له: يا عمر أنت إلى غير هذا أحوج، أن تأمره فيحسن طلبه، وتأمرني فأحسن قضائه. ثم أمره أن يذهب به إلى حائط أحد الأشخاص وأن يكيل له بعد

[1] القرآن. البقرة ٢:١٠٩.

[2] ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل. ١٩٩٩. *تفسير القرآن العظيم*. ج. ١. ص. ٣٢٨.

[3] المرجع نفسه. ج .١. ص. ٣٢٨.

رضائه ثم يزيده كذا صاعاً لتعنيف سيدنا عمر إياه. فقال اليهودي لعمر: إنه لم يكن بقي شيء مما وجدنا في كتابنا مما وصف لنا موسى عليه السلام، إلا قد رأيناه في محمد إلا الحلم فقد رأيناه الآن، فشهد شهادة الحق وآمن، ثم مات اليهودي فخرج فحمل سريره على عاتقه الأيمن ثم على عاتقه)[1] . وهذا دليل قاطع على حلمه صلى الله عليه وسلم مما أدى إلى إسلام اليهودي، وهكذا الرسول صلى الله عليه وسلم دائما يؤثر الدعوة وكسب القلوب على كل شيء، فنجح في دعوته بسبب صبره وحلمه وكسبه للقلوب.

ثالثا: إباحة ذبائحهم ونكاح نسائهم.

يقول الله سبحانه وتعالى: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ ۖ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝٥ ﴾[2].

يقول ابن كثير: (لما ذكر تعالى ما حرمه على عباده المؤمنين من الخبائث، وما أحله لهم من الطيبات، قال بعده: ﴿ ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ﴾ ثم ذكر حكم ذبائح أهل الكتابين من اليهود والنصارى فقال: ﴿ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ ﴾ قال ابن عباس وأبو أمامة ومجاهد وسعيد بن

[1] ابن اسحق، محمد بن اسحاق. ١٩٧٦. *سيرة ابن اسحاق المسماة بكتاب المبتدأ والمبعث والمغازي*. المغرب: معهد الدراسات والأبحاث والتعريب. ط الأولى. ص. ٢٧٣. التخريج: الحاكم النيسابوري، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله. ١٩٩٠. *المستدرك على الصحيحين* ج. ٣: ٧٠٠. رقم الحديث ٦٥٤٧. قال الحاكم: صحيح و لم يخرجاه.

[2] القرآن. المائدة ٥:٥.

جبير وعكرمة وعطاء والحسن ومكحول وإبراهيم النخعي والسدي ومقاتل بن حيان: يعني ذبائحهم. وهذا أمر مجمع عليه بين العلماء؛ أن ذبائحهم حلال للمسلمين: لأنهم يعتقدون تحريم الذبح لغير الله، ولا يذكرون على ذبائحهم إلا اسم الله، وإن اعتقدوا فيه تعالى ما هو منزه عن قولهم، تعالى وتقدس)[1]. وهذا الفعل ما هو إلا للتودد إليهم ودعوتهم إلى الإسلام ووضعهم بالقرب من الإسلام والمسلمين.

أما نكاح نسائهم فأشار الباحث سابقا أن الرسول صلى الله عليه وسلم تزوج صفية بنت حيي أم المؤمنين وهي بنت سادة بني النضير. أسلمت وتزوجها النبي، ولكن الإشارة زواج النبي بها أنه صلى الله عليه وسلم يتعامل مع اليهود التي رجحنا سابقا هم من نسب اليهود وليسوا فقط عرب تهودوا. أما تحليل الزواج من أهل الكتاب اليهودية والنصرانية فثابت في القرآن كما أشرنا في الآية السابقة.

رابعا: عدم أخذ منهم الجزية أو الضريبة والمعاهدة إلى وقت غير محدد. فلم تثبت في الوثيقة التي أشرنا إليها سابقا أن الرسول صلى الله عليه وسلم أخذ منهم الجزية أو أي ضريبة. ولم تشر إلى ذلك كتب السير. وذهب بعض الباحثين إلى هذا الرأي فأشار إلى أن الرسول صلى الله عليه وسلم صالحهم من غير جزية[2]. وذلك للتلطف معهم ولأجل دعوتهم إلى الدفاع عن المدينة مع الرسول صلى الله عليه وسلم.

وكذلك أشار الدراسات السابقة أن المعاهدة لم تحدد بوقت معين بل جدد الرسول العهد لبعض اليهود.

---

[1] ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل. ١٩٩٩. *تفسير القرآن العظيم*. ج. ٣. ص. ٤٠.

[2] أبو زهري، سامي حمدان. ٢٠٠٤. *يهود المدينة في العهد النبوي أوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية والثقافية*. ص. ١٠٣.

من خلال ما سبق تبين أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يتودد إليهم في أول الأمر ويعتبرهم أمة مع المؤمنين حرصا على إسلامهم. ويستنبط الباحث أيضا الفقه السياسي الإسلامي أنه صلى الله عليه وسلم اهتم بجمع الصف الداخلي وتقويته ويعتبر أن المواطنون شعب واحد. وهذا للحفاظ على سلامة وأمن الدولة وهي في نشأتها. والرسول كان يأخذ الاعتبار أيضا عدد اليهود الذي يبلغ عددهم من الرجال قرابة ثلاثة آلاف من الرجال، فليس من الحكمة إنشاء حروب معهم. وهذا أيضا يؤكد أن رسالة الإسلام دعوية يدعو الناس إلى أن يسلموا لله رب العالمين وأسلوب المتخذ في الدعوة دائما الحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن.

ولكن أيضا هنالك قضية مهمة لا يمكن تجاهلها أن كل هذه الأسلوب التي اتخذا الرسول كانت خاضعة ومطابقة للآية الكريمة: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩﴾﴾[1]. لا يعقل عاقل أن يظل الرسول يفتح لهم باب التعاون وهم ينقضونه وقد جاء ذكرهم في في القرآن أنهم قوم ينقضون العهد. لهذا أجلاهم النبي صلى الله عليه وسلم من المدينة بعد مناقضتهم للعهد وأخرجوهم من ديارهم. هكذا الإسلام يعامل كل أطراف من الناس بما هو أهل له فإجلاء اليهود جاء في وقتها المناسب لكل قبيلة منها. ولا يعمم الرسول في اتخاذ الموقف تجاه اليهود جميعا. وبني قينقاع أول من نقضوا العهد فيما بين بدر وأحد[2]، ثم النضير سنة

[1] القرآن. الممتحنة ٨،٩: ٦٠.

[2] ابن هشام، عبد الملك بن هشام. ١٩٥٥. *السيرة النبوية لابن هشام*، ج. ٢. ص. ٤٧.

أربع وكانوا يريد قتل النبي صلى الله عليه وسلم[1]. ثم قريظة سنة خمس من الهجرة لمناقضتهم العقد واتفاقهم مع الأحزاب[2].

الفرع الثالث: معاملة الرسول مع المنافقين.

طائفة المنافقين من الطوائف التي علمنا الرسول صلى الله عليه وسلم التعامل معهم بإرشاد من الله سبحانه وتعالى وحكمة نبيه صلى الله عليه وسلم. وإن كان نفاقهم نفاق عقائدي حقيقتهم الكفر بل أظهروها في بعض التصرفات مثل الخذلان يوم أحد وغيرها، هناك عدة وسائل عاملهم بها النبي صلى الله عليه وسلم يجب اتباعها حتى لا يحدث التفرق في صفوف المسلمين.

أولا: معاملتهم كمسلمين وكأنهم في طائفة مسلمة معهم في المدينة. وهو ما نراه في غزوة أحد حينما رجع فريق المنافقين وهم ثلث جيش المسلمين[3] عن القتال اختلف الصحابة في قتالهم فريق يؤيد وفريق يعارض حتى أنزل الله عز وجل قوله تعالى: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴿٨٨﴾﴾[4][5]. وابن أبي بعد أحد كان يريد أن يثني على الرسول يوم الجمعة ويفعل ما يفعله من قبل من النفاق وبخهم الصحابة بما فعله في أحد. قال ابن هشام: (فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة، وكان عبد الله بن أبي ابن سلول، له مقام يقومه كل جمعة لا ينكر، شرفا له في نفسه وفي قومه، وكان فيهم شريفا، إذا جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة وهو يخطب

---

[1] المرجع نفسه. ج. ٢. ص. ١٩٠.

[2] المرجع نفسه. ج. ٢. ص. ٢٢١.

[3] المرجع نفسه. ج. ٢. ص. ٦٤.

[4] القرآن. النساء ٤,٨٨.

[5] ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل. ١٩٩٩. *تفسير القرآن العظيم*. دار الطيبة للنشر والتوزيع. ط. الثانية. ج. ٢. ص. ٣٧١.

الناس، قام فقال: أيها الناس، هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهركم، أكرمكم الله وأعزكم به، فانصروه وعزروه، واسمعوا له وأطيعوا، ثم يجلس حتى إذا صنع يوم أحد ما صنع، ورجع بالناس، قام يفعل ذلك كما كان يفعله، فأخذ المسلمون بثيابه من نواحيه، وقالوا: اجلس، أي عدو الله، لست لذلك بأهل، وقد صنعت ما صنعت) فقام وأراد أن ينصرف، ولما قام بعض الأنصار أن يوقفه ليستغفر له رسول الله قال: (والله ما أبتغي أن يستغفر لي)[1]. ونلاحظ أن الرسول صلى الله عليه وسلم تركهم وشأنهم مع أن هذا العمل انه كبير، إذا قارناه بالأحكام يومنا هذا هؤلاء الجيوش يمكن أن يقتلوا أو يسجنوا لأنهم تولوا يوم الزحف و لم يأتوا بالتبريرات أمام المحكمة العسكرية.

بعض الدراسات السابقة يذهب إلى أن هذا الفعل كان لاستقطاب العرب فقال: (لقد كان عند النبي صلى الله عليه وسلم بعد النظر عندما صبر عليهم من أجل استقطاب غيرهم من العرب، حتى لا تقول العرب: إن محمدا لما اشتد وقوي أمره بدأ يقتل من يعارضه)[2]. والبعض الآخر يشير إلى أن هذا هو الحكم التعامل مع المنافق (يعتبر في الأحكام القضائية الدنيوية مسلما مع وجوب الحيطة والحذر منه)[3]. وفي نظر الباحث أن هذا هو الحكم التعامل مع المنافقين والعلة من ورائها استمالة غيرهم من العرب بما أنهم يعيشون في أوساط المسلمين وغيرها من الأسباب.

ثانيا: قبول أعذارهم والعفو (الإعراض) عنهم.

هناك بعض الشواهد على هذا الأمر أذكرها كالآتي:

---

[1] ابن هشام، عبد الملك بن هشام. ١٩٥٥. *السيرة النبوية* ، ج. ٢. ص. ١٠٥. حكاه أيضا ابن كثير عن ابن اسحق، ارجع إلى: ابن كثير.١٩٩٩. *تفسير القرآن العظيم*. ج. ٨. ص. ١٢٧. و لم يجد الباحث غير هذا المصدر.

[2] اشتيوي، أنس محمود مصطفى. ٢٠١٦. *النفاق والمنافقون دراسة في القرآن والسنة*. (رسالة ماجستير). كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية نابلس فلسطين. ص. ٦٤.

[3] البوطي، محّمد سَعيد رَمضان. ٢٠٠٥. *فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة*. دمشق، دار الفكر. ط. الخامسة والعشرون. ص. ٢٠٩.

١. قبول أعذارهم يوم تبوك عندما تخلفوا عن الغزوة مع رسول الله والخروج معه ولما عاد عليه الصلاة والسلام إلى المدينة قاموا يستأذنونه. قال ابن هشام: (وأتاه من تخلف عنه من المنافقين فجعلوا يحلفون له ويعتذرون، فصفح عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم)[١].

٢. في غزوة الأحزاب يستأذنون الرسول صلى الله عليه وسلم ويأتيهم بالعذر وحقيقة أن نفوسهم خائفة وجبانة لأن المدينة حوصرت بالأحزاب. يقول سبحانه وتعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُواْ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ ﴾[٢]. يقول السيوطي عن سبب نزول هذه الآية: (أخرج البيهقي في الدلائل عن حذيفة قال لقد رأيتنا ليلة الأحزاب ونحن صافون قعودا وأبو سفيان ومن معه من الأحزاب فوقنا وقريظة أسفل منا نخافهم على ذرارينا وما أتت قط علينا ليلة أشد ظلمة ولا أشد ريحا منها فجعل المنافقون يستأذنون النبي صلى الله عليه وسلم يقولون إن بيوتنا عورة وما هي بعورة فما يستأذن أحد منهم إلا أذن له).[٣]

---

[١] ابن هشام، عبد الملك بن هشام. ١٩٥٥. *السيرة النبوية* ، ج. ٢. ص. ٥٣١. ارجع إلى: العمري، أكرم ضياء. ١٩٩٤. *السيرة النبوية الصحيحة*. ج. 1. ص. ٥٣٦

[٢] القرآن. الأحزاب. ٣٣:١٣.

[٣] السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر. ٢٠٠٢. *لباب النقول في أسباب النزول*. بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية. ط. الأولى. ص. ٢٠٦. وكذلك ارجع إلى: الطبري، محمد بن جرير. *جامع البيان عن تأويل آي القرآن*. ٢٠٠١. ج. ٢٠. ص. ٢٢٦

٣. لم يتصرف الرسول صلى الله عليه وسلم لمن أثار الفتنة ومن تولى كبر حادثة الإفك لخطورتها وأثرها على أسرة النبي صلى الله عليه وسلم إلا فيما يوافق الشرع. بل أقام على الذي أثار الفتنة الحد ولو كانوا من المسلمين مثل حسان ومسطح رضي الله عنهما.[١]

٤. في غزوة بني المصطلق أثار ابن أبي الفتنة وقال قوله الشهير لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ويقصد بها النبي صلى الله عليه وسلم حتى أنزل الله قرآنا مقروءا إلى يوم القيامة في شأنه يرد عليه: ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾[٢]. استأذن عمر بن الخطاب وأسيد بن حضير بقتله فلم يأذن الرسول صلى الله عليه وسلم بذلك حتى طلب منه ولده عبد الله استأذن لقتل أبيه فقال عليه الصلاة والسلام: بل نترفق به ونحسن صحبته ما بقي معنا)[٣].

ثالثا: معارضتهم بالحجة والإغلاظ عليهم.

ثبتت في السير أن الرسول عاملهم بطرق ووسائل شتى وفتح لهم باب التوبة وأعطى الفرصة ولكنهم استمروا على ما هم عليه. فلجأ النبي إلى معاملتهم بالشدة منها:

١. فضحهم القرآن وذكر صفاتهم بل كلامهم الذي يتكلمون بها وراء الرسول صلى الله عليه وسلم.

---

[١] البوطي، محمّد سَعيد رَمضان. ٢٠٠٥. *فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة*. ص. ٢٠٩.

[٢] القرآن. ٨:٦٣.

[٣] ابن كثير.١٩٩٩. *تفسير القرآن العظيم*. ج. ٨. ص. ١٣٢. أنظر إلى: البخاري، محمد بن إسماعيل. ٢٠٠٢. *صحيح البخاري*. رقم الحديث ٤٩٠٥

المطلب الثالث: الآثار من السياسات التعليمية في بناء المجتمع:

الفرع الأول: الآثار عند المسلمين.

أولا: الانقلاب الشامل لحياة الأفراد.

لما جاء الإسلام إلى المدينة وفرض تعليمه للمسلمين انقلبوا من حياتهم السابقة البدائية الجاهلية إلى حياة جديدة قائمة على المبادئ والأسس والتنظيمات اليومية من أول بداية استيقاظه من النوم إلى أن ينام مرة أخرى. وكذلك نظر الفرد إلى الكون والحياة تغيرت فطافت الأرواح تغدو يومها لتحقق السعادة الأبدية[1].

ثانيا: ارتباط أفراد الدولة على أساس العقيدة.

بما أن التعليم ركزت في بناء الفهم للقرآن والعمل به فالمجتمع تحولت من التكوين على أساس العرق أو القبائل إلى مجتمع قائم على أساس عقائدي وهي الإيمان بالله سبحانه وتعالى والمسابقة في الخيرات. يقول أكرم ضياء: (وقد جعل الإسلام رابطة العقيدة هي الأساس الأول في ارتباط الناس وتآلفهم وإن أقر بعض الأواصر الأخرى إذا انصهرت تحت هذا الأصل مثل الأرحام التي حث الإسلام على وصلها)[2].

ثالثا: مجتمع مترابط متماسك.

وكذلك كانوا يتصفون بالمجتمع مترابط متعاون يحبون الله ورسوله ويحبهم الله ورسوله، وموالاة فيما بينهم والمفاصلة فيمن دونهم. وصفهم الله سبحانه وتعالى (بعضهم أولياء بعض). لا شك أن الرباط بينهم قوية ومتماسكة، وكل هذا نتيجة تعامل النبي وتربيتهم تربية صحيحة إلى جانب التعليم الديني القوي الذي كان معلمهم الأول هو رسول الله صلى الله عليه وسلم. والتكافل بينهم كبير في نظام المؤاخاة التي وضعها الرسول ولا شك أنها أيضا من تعاليم الإسلام.

---

[1] العمري، أكرم ضياء. ١٩٨٣. *المجتمع المدني في عهد النبوة*. ص. ٦٢-٦٣.

[2] المرجع نفسه. ص. ٨١.

رابعا : مجتمع يتصفون بالعلم يقول ابن كثير: (فكانوا في الجاهلية الجهلاء يسفهون بالقول الفرى، فانتقلوا ببركة رسالته، ويمن سفارته، إلى حال الأولياء، وسجايا العلماء فصاروا أعمق الناس علما، وأبرهم قلوبا، وأقلهم تكلفا، وأصدقهم لهجة).[1]

الفرع الثاني: الآثار عند غير المسلمين.

أما الآثار عند غير المسلمين لا يقل إهتماما من المسلمين لأنهم من أفراد الدولة، بنهوضهم علميا وثقافة ينهض الدولة، وهذا هو الأصل في أي حضارة من الحضارات. ولكن الذي يقصده الباحث بالنهوض علميا وثقافة هو ما يتعلق بالعلم الدنيوي لغير المسلمين. والعكس صحيح، كلما ابتعد المسلمون من تعاليم دينهم بعدوا عن الدنيا وأصبحوا في ذيل الأمم.

أولا: تماسكوا بتعليمهم الديني وورثوها لأبناء أبنائهم.

حتى بعد أن أجلاهم النبي صلى الله عليه وسلم، والسبب الغدر والخيانة، وليس لأنهم يمارسون معتقداتهم. وهذه الآثار أيضا لازم أخذها في الإعتبار في تأكيد نقطة مهمة وهي لا إكراه في دخول الإسلام. فلم نسمع أحد من أهل المدينة أكره على أن يسلم، بل أعطي له الفرصة أن يمارس دينه ويعلم دينه إلى أجياله. وهذه نقطة مهمة جدا نتيجة من سياسة التعليمية الحرة التي فرضها على أهل المدينة.

ثانيا: تمسك كل طائفة بلغتهم الأصلية.

ومما أشار الباحث إليه سابقا أن الصحابي زيد بن ثابت الأنصاري النجاري ترجمان الرسول صلى الله عليه وسلم لم يخرج من المدينة لتعلم اللغة السريانية والفارسية والرومية والقبطية والحبشية، بل تعلمها في المدينة واكتسبها هناك. بل الرسول صلى الله عليه وسلم لم يفرض عل غير المسلمين بالمقابل دراسة

[1] ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل. ١٩٩٩. *تفسير القرآن العظيم*. ج. ١. ص. ٦٨٢.

اللغة العربية بل اكتسبوها بطبيعة الحال أنهم يعيشون وسط العرب. ومما يشير الدراسات السابقة إلى أن كان الرسول يقبل الرسائل لليهود باللغة العبرية ولا حرج في ذلك[1].

الفرع الثالث: الآثار في المجتمع جميعا.

أولا: تنوع وتبادل العلوم والثقافات.

التعاليم الإسلامية كانت سائدة في تلك الوقت ومع هذا هناك علوم أخرى حيث يشير إلى ذلك الدراسات السابقة أنه (قد نشر اليهود عن أنفسهم على ما يظهر علمًا واسعًا في الأديان والشرائع وأخبار الأمم وسنن الكون، وكانوا يزهون على العرب بهذا وبالدين السماوي)[2]. فإلتقاء هذه العلوم جعلت هناك تبادل في المعرفة.

ثانيا: زادت الرخاء والأمن.

في أول عهده صلى الله عليه وسلم بالمدينة ومن خلال التعايش من اليهود وإعطائهم مجال للتبادل والأخذ والرد كان كما يشير الدراسات السابقة (وبهذه الصحيفة التي قررت حرية العقيدة وحرية الرأي وحرمة المدينة وحرمة الحياة وحرمة المال وتحريم الجريمة، استقرت الأحوال في يثرب وأصبحت حرمًا لأهلها، عليهم أن يدافعوا عنها، وأن يتكافلوا فيما بينهم، وبدت المدينة وكأنما تسير إلى ما كان ينشده لها أهلها من هدوء وتقدم، وبدأ النبي صلى الله عليه وسلم يمثل فيها روح النظام والاستقرار، وكان هو القدوة في حسن المعاملة والتواضع والعدل، وقد ترك ذلك في النفوس عميق الأثر، حتى لقد أقبل كثيرون على الإسلام، وزاد المسلمون في المدينة شوكة وقوة، وأخذ النبي صلى الله عليه وسلم يتجه إلى بناء دولته وضمان الأمن لها في الداخل والخارج، ونجحت السرايا التي أرسلها إلى ما حول

[1] أبو زهري، سامي حمدان. ٢٠٠٤. *يهود المدينة في العهد النبوي أوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية والثقافية*. ص. ٢٣٢.

[2] الشريف، أحمد إبراهيم. *مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول صلى الله عليه وسلم*. دار الفكر العربي. د. ط. ص. ٢٥٢.

المدينة في تأمين ريفها وعقد المحالفات لها مع القبائل الضاربة على جنباتها)[1].

ثالثا: زادت الإقبال على الإسلام.

ذكرت الدراسات السابقة أن بعد قدوم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وزادت الرخاء بحكمة النبي زاد الإقبال على الإسلام كما أشار بذلك (استقر المهاجرون في المدينة المنورة، ودخل أغلب الأوس والخزرج في الإسلام)[2]. وكذلك بعض اليهود وعلى رأسهم عبد الله بن سلام حبرهم وعالمهم[3]، ومخيريق خير يهود.

رابعا: لغة رسمية للتعامل مع جميع السكان.

هذه السماحة التي تعامل بها النبي صلى الله وعليه وسلم وبحكم الواقع المكان يثرب اللغة العربية هي اللغة الرسمية المستعملة بين الأطياف جميعا مع الحفاظ على لغة كل الأعراق.

---

[1] المرجع نفسه. ص. ٣٨٠.

[2] غلوش، أحمد أحمد. ٢٠٠٤. *السيرة النبوية والدعوة في العهد المدني*. مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع. ط. الأولى. ص. ٢٠٤

[3] ابن هشام، عبد الملك بن هشام. ١٩٥٥. *السيرة النبوية* ، ج. ١. ص. ٥١٧.